

عزيز أباظه

أفانت حائرة

يزأباطه

أقامت حائرة

٥	التصدير بقلم الدكتور طه حسين بك
١٣	الأهداء
١٧	عهد الله
١٨	يوم ميلادى
٢٢	توقعات
٢٢	١ — ولا تنسى أباك
٢٣	٢ — تذكرها واعبري
٢٤	٣ — رب صبر نفعا
٢٥	أمنية
٢٨	الزيارة الأولى
٣٢	من أطيان الماضي
٣٨	وحى الغروب
٤٢	ذكريات
٥١	أشجان رمضان
٥٥	في بعضاء مكة
٦٢	على عرفات
٦٧	في عوالي منى

[illegible]

تصدير

بقلم الدكتور طه حسين بك

لا يلبثُ القُرْآنُ أنْ يتفرَّقوا

ليلاً يكرُّ عليهم ونهاراً

كذلك قال جرير منذ اثني عشر قرناً ؛ وهو معنى ردِّدته حكمةُ
الحكماء ، وكتبُ السماء قبل جرير بقرون طوال .

ونحن نقراء في الشعر والنثر ، وفي كتب الموعظة والدين فتعجب به
نعقولنا ، وتتأثر به قلوبنا ، وتأسي له ضمائرنا . ثم لا نكاد ننصرف
عنه لأمر من أمور الدنيا حتى ننساه ، وكأننا لم نره ولم نسمع به .
وأغرب من ذلك أن الحوادث تحدث ، والنوائب تنوب . وفيما
تجرى به الحوادث ، وفيما تأتي به النوائب في كل لحظة تصديق لهذا
المعنى ، وتحقيق لهذا الخاطر . ولكننا لا نلتفت إلى ذلك ولا
نحفل به ، حتى إذا مسَّتْنا الحوادث من قريب ، وطرقتنا النوائب

في أحب الناس إلينا وآثرهم عندنا ، جزعنا أشد الجزع ، ووجهنا
أعظم الوجوه واستيقنا بأن هذه الحوادث قد اتخذتنا لها غرضاً ،
بما رمئنا به من المكروه كأنما بيننا وبين الحوادث والخطوب ثارات
يجب أن تؤدّى ، وحقوق يجب أن ترد . وليس لهذا التناقض بين
تفكيرنا وسيرتنا مصدر إلا أن قلوبنا أقوى من عقولنا ، وغرائزنا
أشدّ تحكماً فينا واستئثاراً بنا من بصائرنا .

وهذا النجوى من الضعف الإنساني هو فيما أقدر أنبل ما في الناس
وأكرم ما طويت عليه شيمهم وخلاتقهم . فهو يدعو إلى الرحمة
والإحسان ، وهو يُثير العطف والإشفاق ، وهو يخلق بين الناس
التضامن والتعاون ، وحب الخير ، وتقارص البر ، وتبادل المعروف .
ولو خلى بين عقولنا وحدها وبين الحياة لأصبحت حياتنا صحراء مجذبة
لا خفض فيها ولا لين ، ولا راحة فيها ولا روح ؛ إنما هو استكشاف
لقوانين الطبيعة ، وإذعان جاف لهذه القوانين ، وانقياد لهذه الأحكام
الصارمة التي يجرى بها القضاء ، كما تنقاد الأدوات لمديرها ومدير
أمرها ، لا مودة ولا إشفاق ، ولا حب ولا حنان ، ولا استقاء من
هذه ينباع الغريزة الخلية المرة التي تفيض بها قلوبنا وضمائرنا عند
ما تصيب الحوادث بما نحب أو بما نكره .

فإذا نفوسنا تشقى أو تسعد ، وإذا نحن نرتفع بهذا الشقاء أو هذه السعادة حتى نتجاوز هذه الطبقة التى تنزلنا فيها غرائزُنا . وإذا نحن ناس بالمعنى الفلسفى لهذه الكلمة لا نفكر فحسب ، ولكننا نشعر ونقدر ما نشعر به ، نَأْلَمُ ونَلَذُّ ونقدر طبيعة الألم وطبيعة اللذة ، نصوِّرُ ذلك فى نفوسنا وتتأثر به قلوبنا . وإذا نحن نتغنى بما نجد من ذلك غذاءً باسمًا مشرقًا حينًا ، وغذاءً عابسًا مظلمًا أحيانًا . ولكنه غذاءٌ على كل حال تحبه الأذن ، وتطمئن إليه النفس ؛ ونجد فيه لضمائرنا غذاءً يعصمها من الموت ، ويحميها من الجفوة والجفاء ، ويشيع فيها هذا الخصب الذى يجد الناس فيه خير ما يزين حياتهم من الفن .

خطرت لى هذه الخواطر الحزينة عند ما لقيتك يا سيدى فى مكاتبى بالإسكندرية ، وعند ما استمعت إلى حديثك الذى كان يبلغ قلبى محرقًا لاذعًا كأنه السهام . وأحسبك لاحظت هذا ورأيت أثره فى وجهى ، فأشفقت علىّ واعتذرت إلىّ . ولكننى استزدتك من حديثك ، واستنشدتك من شعرك ، وأحببت حديثك ، وأحببت شعرك ، لأنهما أتاحا لى هذه اللذة المرة الأليمة ، لذّة مشاركتك فيما تجد من حزن ، ومشاطرتك بعض ما تحس من لوعة .

ثم استبقيت شعرك لأنظر فيه ، وقد فعلت . فإذا الشعور الذى

وجدته حين لقيتك واستمعت إليك ، هو هو لم يتغير بزيادة أو نقص
وثاء لك ، وإشفاق عليك . فبهما وثاء للناس جميعاً ، وإشفاق على
الناس جميعاً . وفيهما قبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، رداء لنفسى
وإشفاق عليها . فالخطوب التى نلّم فتغمرنا بالحزن ، وتُضرم فى قلوبنا
اللوعة والأسى تكثر وتتنوع ، وتنبأين بنبأين أشخاصنا ، وتنبأين
الظروف التى نحيط بنا ؛ ولكنها آخر الأمر متحدة مؤلفة يشبه بعضها
بعضاً وتنتهى إلى نتيجة واحدة : هو هذا الحزن الذى يمس قلوبنا
فيخرجنا من أطوارنا ، ويرفعنا عن منازلنا ، ويجعل المتأزين متسا
أخياراً دائماً ، ويجعل أكثرنا أخياراً ساعة من نهار أو ساعة من ليل .

فهون عليك إنذا يا سيدى ، واحتمل خطبك كما احتملته إلى الآن
صابراً جلدأ كريماً محزوناً مع ذلك أشد الحزن : متألماً مع ذلك أشد
الألم ، مُصوراً حزنك وألمك فى هذه الصور الشعرية المدهشة السهلة
القريبة التى تبلغ القلوب فى غير مشقة ، وتهزها فى غير جهد ،
وتدسها فى غير عناء . فى هذه الصور الشعرية التى إن لم تبلغ من
الروعة ما يبلغه فحول الشعراء . فقد بلغت من السهولة والمقاد
إلى القلوب ما يبلغه الشعر الصادق ، الذى يصور عواطف صادقة ،
ويتترجم عن نفس صادقة .

أنت صادقٌ يا سيدى فى شعورك بالحزن اللاذع والألم الممض ،
صادقٌ فى تصويرك لهذا الشعور ، لا تتكثّر ولا تتكاف ولا تبعد ؛
وإنما تحس ، وتنبئنا بما تحس ، وتبلغنا أنباء حسك من قريب جداً
كما تنقلها من قلبك إلى قلوبنا ؛ وأنت على هذا كله قد اخترت
لعواطفك ، أو أجريت عواطفك فى لفظ جزل ، وأسلوب فخم ،
وعُروبة توشك أن تقرب من البداوة أحياناً . والناس يهتملون
الآلام كما يستطيعون ، ويستعينون على احتمالها بما يتاح لهم من
أسباب التجلد والصبر . فمنهم من يلهو عن الألم ، ومنهم من يُفرق فيه ،
ومنهم من يلهو عنه بالرياضة والرحلة والتنقل فى الأرض ، ومنهم من
يلهو عنه بالعكوف على الكتب أو الانصراف إلى اللذات القريبة
أو البعيدة الرفيعة أو الوضيعة .

وقد أثر فى نفسى احتمالك للألم ومعاشرتك له ، واستعانتك على
ذلك بهذه الأسباب المائدة الكريمة الحلوة . فأنت تستعين على
آلامك بالعمل ، وأنت تستعين عليها برعاية أبنائك والعناية بهم ،
وأنت تستعين عليها بهذه العشرة الحلوة الحزينة التى تبسم لك ابتساماً
شاحباً . ولكنك تشعر قلبك رضى فيه الأمل واليأس جميعاً .
عشرة الذكرى التى تبسم لك إذا أصبحت ، وتبسم لك إذا أمسيت ،

وتبسم لك أثناء هذا العمل فتضع عنك بعض أثقاله ، وتبسم لك أثناء
النوم فتزدك إلى هذا الأرق الذي ينعم به المحبون وإن كان كله شقاء
وبؤساً . وأنت تستعين على آلامك حين تحس هذا الضعف الذي
يوشك أن يدفعك إلى القنوط بهذا السفر الحصب الذي يرضى شعورك
الديني ، ويرضى شعورك العربي ، ويرضى إكبارك للسلف ،
وإعجابك بالمعاصي ، وأمالك في المستقبل ، وتقديرك لثقتنا العليا .

فأنت ترحل إلى الحجاز فتحج البيت ، وتنف في عرفات ، وتلم
بقبر خديجة أم المؤمنين ، وترور يثرب ، وتلم بقبر النبي الكريم .
وأنت في أثناء هذا كله ، لا تسافر وحدك ، ولا تلم وحدك بهذه
المشاهد ؛ وإنما يرافقك دائماً هذا الشخص الحبيب إليك ، الكريم
عليك ؛ الذي اتخذ من قلبك مكاناً لن يرحله ، والذي أصبح
لنفسك ينبوع سعادة وشقاء ومصدر نعيم وبؤس ، والذي دفعك
حين يبهظك الألم ؛ إلى أن تنغى حزنك ، وتشكو بك في هذا
الشعر الرقيق الرصين .

لقد كنت متحرراً يا سيدي من أسر هذه الضجف ؛ لأنك
لم تتخذ الشعر صناعة ، ولأنك تذكره أن يتحدث الناس من مدير
يتولى الشعر . فمن متى وقف الشعر على الذين يتخلوا عن أنفسهم

صناعة ؟ ومن الذى يمنع الإنسان الحساس من أن يصور إحساسه ،
ويتغنى حُزنه شعراً إن واتاه الطبع ؟ وما أحسن ما يواتيك طبعك .
وهل على الذين ينهضون بأمور الإدارة ومناصبها جُنَاحٌ أن يحسوا
ويشعروا ويعربوا عما فى نفوسهم من خاطر يخطر ، وعما فى قلوبهم
من عاطفة تثور ؟

لا عليك يا سيدى ، احتمل حزنك كما احتملته إلى الآن جلدًا
كرِيمًا ، ورفّه على نفسك كما فعلت إلى الآن بمثل هذا الشعر ،
الذى أقل ما يوصف به إنه يرفعك عن الأثرة ، ويجعل من مصابك
غذاء لبعض النفوس ، وعزاء لبعض القلوب .

وصدقنى يا سيدى ، أن شر الخطوب ما كان عقيمًا يدفع إلى
الجذب . وخير الخطوب ما كان خصبًا يؤلم ويؤذى ، ولكن الناس
يجدون فيه على ذلك نفعاً وغذاء .

طه حسين

الاهل

أى أبنائى .

إنكم لتذكرون

لقد كان لكم فى يوم من الأيام بيتٌ ناعمٌ سعيد .
ولقد كان لكم أمٌ تجمعكم إليها . وتضمئى وإياكم تحت
جناحيها . ومذ ذهبت أمكم - رضى الله عنها وأرضاها -
تجهّم لنا الدهر . وآبت بنا الدار فإذا نحن متفرقون
متباعدون .

لم أُرِد أن أستبقيكم - رغم رغبتى الملحة - فى بيت
أخلقت ديباجته وغازت بشاشته . وكان قد طالما ضمّ
فى أبهائه بين وثارة العيش وهناءة الحياة أسعد أسرة
عرفها الناس . فنزحتم - كان الله لكم - إلى مدرسة
تخذتموها دار إقامة ومعهد تعليم .

إنكم لتذكرون

لقد كانت أيام هذه الأسرة كلها أفراحا مُشرقة .
وأمانىً مُحققَة . وكان أكرم أيامها عليها وآثرها عندها
أسبوعٌ في شهر يونيه . قدّر الله أن يجمع فيه من تاريخ
هذه الأسرة أجلّ حوادثها قدراً وأخصّها جوهرًا
وأنبغها في كيانها ومجى حياتها أثرًا .

ففي شهر يونيه من سنين بعيدة حقيقة أحسن أبوك
وأحست أمكم — وهما بعدُ في ربيع الطفولة وريقتها —
أنهما ليسا أخوين كما كانا يظنان . وعرفا أن من حتهما
أن يتطلعا إلى حياة تجمعهما أشدّ اتصالا . وأكثر جمالا
وأعذب آمالا .

وفي شهر يونيه منذ سبعة عشر عامًا جمع الله بين
أيكم المسكين وأمكم المسكينة زوجين أنعم وأهنأ ما يكون
الزوجان تآلفا فتوافقا . وأكمل حياة بعضهما ببعض كما
يتكامل النصفان تضامًا فتطابقا .

وفي شهر يونيه من العام السعيد الذي تلا عام زواجهما
السعيد ، من الله عليهما بكبراكم . فحشدا نفسيهما لها . ووفقا
عنايتهما عليها . وزاد كلاهما لصاحبه بتلك النعمة المباركة حبا
وعطفاً . وتقديراً وحدا .

وإنكم لتذكرون فقد كنا ندّخر لشهرنا هذا أنس
العام كله . ونستبقي لمناسباته تلك هدايا العام كله .
ثم شاء الله أن تنتقل أمكم إلى الرفيق الأعلى في سني
فضلها ووريق صباها . فلم يكن ذلك إلا في يوم من أيام
شهر يونيه المنصرم .

وها قد حل الشهر يا أبنائي لأول مرة بعد ذهاب
أمكم الكريمة . . . ها قد حلّ ميقاتنا ذو الذكريات
الغالية الدامية . اللامعة الدامعة . فإذا تظنون أني مُقدّمه
بين أيديكم هدية أو تذكّراً ؟ ؟

أنه هو هذا الكتيب . . . هذا الكتيب الذي
هراق قلبي بين ثناياه عبراته . وما أغزر وما أدعى عبراته .

وسكَبَ أَملى فوق صُحُفِهِ أَنَّاتِهِ . وما أطولَ وما أعمَقَ
أَنَّاتِهِ . فى قصائدَ ومقاطيعَ إلاَّ تكن من سَرَى الشعر
وكريمه . فهى غيرَ شك من صادق الشعور وصميمه .

بقيت كلمة أخرى لا بدَّ منها ولا محيدَ عنها .

متسألونى لم أنشر هذا الكتيب على الناس . وليس

فيه ما يعنى أحداً غيرنا من الناس .

وأودُّ أن أسارعَ فأجيبكم أننى منذ صحَّ عندى أن

أنشره . حرمت أمري رعاية لحرمة علينا . أن أسمع به

ما استطعت . فلن يراه الناسُ سلعةً معروضةً . ولن

يقتنيه من الناس من ينفقنى فيه دراهم معدودة . وإنما

سيقتنيه منهم إن شاء الله . من يعيننى أن أهديهم إياه .

أو من يعنيه لمعى من المعانى أن يستهديه فيهداه .

والسلام عليكم ورحمة الله

والدكم



منتهور لى يونيه سنة ١٩٤٣

عبداللہ

ترکتِ دُنا الآلامِ والشرَّ فالعمی
وفُزتِ بقربِ اللہِ ناهیکِ من قربِ
وأقسمُ قد أدیتِ للفضلِ حقَّه
ولالأهلِ والأبناءِ والزوجِ والربِّ
سألقاکِ لم یُسْغَلْ فراغٌ ترکتهِ
بیئتِ ولم یملأْ مکانکِ من قلبی

الربمایہ فی ۲۱ یونیہ ۱۹۴۲



يوم ميلادى

أَقُولُ وَالْقَلْبُ فِي أَضْلَاعِهِ شَرِقٌ
بِالدَّمْعِ لَا عُدْتَ لِي يَا يَوْمَ مِيلَادِي
نَزَلْتَ بِي وَدَخِلْتَ الْحُزْنَ يَعْصِفُ بِي
وَفَادِحُ الْبَيْتِ مَا يَنْفَكُ مُعْتَادِي
وَكُنْتَ تَحْمِلُ لِي وَالشَّمْلُ بِمَجْتَمَعٍ
أُنْسًا يَفِيضُ عَلَى زَوْجِي وَأَوْلَادِي
فَانْظُرْ تَرَى الدَّارَ قَدْ هَيْضَتْ جَوَانِبُهَا
وَانْظُرْ تَجِدُ أَهْلَهَا أَشْبَاحَ أَجْسَادِ
فَقَدْتَهَا خَلَّةً لِلنَّفْسِ كَافِيَةً
تَكَادُ تُغْنِي غِنَاءَ الْمَاءِ وَالزَّادِ

وموثلا أجدُ الأمنَ الكريمَ به
إذا تعاوَرَنِي بالبغي حُسَّادِي

تحنو عليَّ وترعاني وتبسُّط لي
في قُمْرَةِ الرَّأْيِ رَأْيَ النَّاصِحِ الْهَادِي

مالَ الزمانِ بنا لما أُحِيطَ بها
في ساعةٍ لا فِدَى يُعْنَى ولا فادَى

وكلُّ عَمْرٍ مُصْرُوفٌ إلى أَجَلٍ
وكلُّ أنسٍ مُردودٌ ليعـادِ

وكلُّ من حمَلَهُ الأرضُ بالغَتُهُ
به مشاويَ آباءٍ وأجدادِ

ويُخَيِّمُ ابنُ حواءَ والدنيا تساوره
بالشرِّ من طامعٍ في العمرِ مُزْدَادِ

أما دري وهو هاوٍ في مبادله
وسادرٌ في هـواءٍ إنه رادٍ^(١)

ما فسحة العيش إلا لحظة عرضت
 ثم انطوت بين آماند^(١) وآباد^(٢)
 يا أخت ذى الرنق الموشى من عمرى^(٣)
 وعدل نفسي من الدنيا وأولادى
 قد ذقت بعدك يما حز في كبدى
 وذاقه في ربيع السن أكبادى^(٤)
 كئنا على أئكة الدنيا وررفها
 نختال في نشوة منها وأسعاد
 والدار حاليمة تزهو بربتها
 كما ازدهى بالتميز^(٥) السلسل الوادى
 تضمنا بجناحي رحمة وهدى
 كالطير تخشى على أفراخها العادى

(١) غايات (٢) أدهار (٣) يقصد عهد الصبا

(٤) الأكباد هنا بمعنى الأولاد (٥) الماء الصافى

مُنَى تَرَاءَتْ فَلَمَّا نَلَتْهَا انْقَشَعَتْ
وَحَلَفْتَنِي لِبَرْحٍ^(١) رَائِحٍ غَادِي

*
* *

قَدْ كُنْتَ فِيَّ مَاضِي عِيدًا فَكُذِّدْ ذَهَبْتُ
أَصْبَحْتُ أَشَقَى بِأَيَّامِي وَأَعْيَادِي

كَأَنَّ مَا غَاضَ مِنْ نِعْمَائِنَا نَعَمٌ
مَا كَاذَ يُفَرِّغُ مِنْ تَجْوِيدِهَا الشَّادِي

لَوْ قَدْ عَلِمْتَ بِمَا نَبَّهْتَ مِنْ شَجَنِ
لَجِئْتَ تَبْكِي دَمًّا يَا يَوْمَ مِيلَادِي

الربيعية في ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٢



(١) البرح الشدة والشر والهم .

توقيعات

تقدم له بنوه بكراسات يجمعون فيها توقيعات أهلهم وأصحابهم ،

Autographe فكتب لكبرى بنتيه :

١- ولاتنسى أباك

اسألِي رَبَّكَ يُلْهِمَّكَ مَعَ الصَّبْرِ هُذَالِكِ

وَأَثْبُتِي لِلْخَطْبِ وَاسْتَعْلِي عَلَيْهِ بِصَبَاكِ

وَإِذْ كُرِيَ أُمُّكَ وَإِذْ بَكِيهَا وَمَنْ يَبْكِي سَوَاكِ ؟

وَاجْمِلِي عِبَاءَ أَشْقَاكِ وَلَا تَنْسِي أَبَاكِ

٥ أغسطس سنة ١٩٤٢

و دشب لصغرى بنتيه فى لراستها :

٢- تذكريها واصبرى

كُنَّا بِعَيْشٍ مُّوْتَقٍ الْمَظْهَرِ غَضُّ الْمَخْبَرِ
تَضُمُّنَا أُمُّكَ فِي هَالَةٍ بَدْرٍ نَيْرِ
فِي نَسَقٍ مُّنَضِّدٍ وَمَنْزِلٍ مُّطَهَّرِ
حَتَّى هَوَتْ كَالشَّمْسِ فِي مَغْرِبٍ يَوْمٍ أَغْبَرِ
تَغَيَّرَ الدَّهْرُ بِنَا وَالْدَّهْرُ ذُو تَغْيَرِ
يَا قِطْعَةً مِنْ كَبْدِي تَذَكَّرِيهَا وَاصْبِرِي

١٤ أغسطس سنة ١٩٤٢

وكتب ولده في كواسته :

٢- رئيسه في نفسه

قد شهدنا الخطبَ لما وقعا	ورأينا البيتَ حين انصدعا
فتبادلنا أنينا والها	ذابتِ الأنفسُ فيه قطعاً
وتولانا وجوم ^(١) ذاهل	حبسَ الدمعَ وأجرى الهلعا
وأفقتنا فإذا نعتنا	لم تكُنْ إلا سراباً لمعا
ذقتُ في سبتك ما قد ذقتُهُ	فحملنا اليتيمَ طفليينِ معا
لذتُ بالصبرِ فلذتُ أنتَ به	وتماسكُ ربِّ صبرِ نفعا
واقطعَ العمرَ إذا استطعتَ رضا	وابتساماً قبلَ أن ينقطعاً
دانتِ الدنيا ورفَّت ^(٢) ودنت	لقتي كافيحَ فيها وسعى

١٤ أغسطس سنة ١٩٤٢

(١) الوجوم السكون على هم وحزن

(٢) رقت أشرقت

أمنية

أقول وقلبي مُغرقٌ في سُجُونِهِ
 وجفني بِمُهْلٍ الشُّبُونِ شَرِيقُ
 هلِ اللهُ هاديّني إلى حَجٍّ يَبْتَهِ
 فأني لَمُنْساقٌ إِلَيْهِ مَشُوقُ
 تُنَاذِرُنِي نَفْسِي لَهُ فَأَرُدُّهَا
 إلى أَمَلٍ في قَابِلٍ ^(١) فَتَتَوَقَّ
 وهل أنا مُجْدُودٌ ^(٢) فَمَقْضٍ بِرَوْضَةٍ
 نُصِيءُ بِتَوْرِ الْمُجْتَبَى وَتَرَوْقُ ^(٣)
 تَرَادَفَ في أَرْجَائِهَا الطَّهْرُ وَالسَّنَى
 وَذِكْرُ كَعْرِفِ الْمَسْكِ وَهُوَ فَتَيْقُ

(١) عام قادم (٢) المجدود ذو الخط الحسن

(٣) الروقة أفضل الحسن يقال راق يروق

وَحَلَّ بِهَا عَقْلُ عَنَا^(١) الدَّهْرُ عِنْدَهُ
وَخُلِقَ بِتَقْدِيرِ الْوَجُودِ خَلِيقُ
تَسَامَتْ بِوَخْدَانِيَّةٍ عَزَّ شَأْنُهَا
وَعَزَّ بِهَا بَيْتُ هُنَاكَ عَتِيقُ
تَأَلَّقَ وَجْهُ الْكَوْنِ مُذْ يَوْمَ بَعْثِهِ
بِمَا جَاءَ يُلْقِيهِ لَهُ وَيَسُوقُ
حَوَامِيمُ^(٢) يَبْلَى الدَّهْرُ وَهِيَ جَدِيدَةٌ
جَلَّالَهَا رُؤُوفٌ بِالْعِبَادِ رَفِيقُ
ذَكَرْتُ بَنَى مَاضِيٍّ وَالدَّهْرُ مُحْسِنُ
وَعَيْشِي مَمْسُودُ الظَّلَالِ وَرَبِّقُ
وَزِينَتِي أَنْسُ وَأَمْنٌ وَرَحْمَةٌ
وَهَدْيِي وَعُرْفُ سَاكِبٍ وَصَدِيقُ
لَكَ اللَّهُ مِنْ مَجْهُودَةٍ^(٣) شَفَّاهَا الضَّنَى
فَأَصْنُوتُ وَرِيعَانُ الشَّبَابِ أُنِيقُ

(١) خضع أو سجد (٢) سور القرآن الكريم (٣) مرأسة

وَمَرْزُوعَةٍ فِي أَهْلِهَا ذَلِكَ رُكْنُهَا
شَقِيقَةُ نَفْسٍ أَعْجَلَتْ^(١) وَشَقِيقُ
لَقَدْ حَزَّ فِي نَفْسِي أَسْأَلُ وَهَدَّنِي
نَوَاكٍ وَإِنْ أَصْبِرُ فَسَوْفَ أَذُوقُ
لَنْ حَقَّقَ اللَّهُ الْأَمَانِيَّ لَمْ أَبْتَ
بِأَمِّ الْقُرَى^(٢) إِلَّا وَأَنْتَ رَفِيقُ
يُودِّي جَلِيلَ الْفَرَضِ عَنْكَ مُوَفَّقُ
أَمِينٌ عَلَى الْعَهْدِ الْوَثِيقِ وَثِيقُ^(٣)
لَعَلِّي إِذَا جِئْتُ الْمُحَصَّبَ مِنْ مَنِيَّ
وَطَوَّفْتُ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ مُفِيقُ
مُفِيقٌ مِنَ الْخُطْبِ الَّذِي جَلَّ إِصْرُهُ^(٤)
أَلَا كُلُّ خُطْبٍ دُونَهُ لَدَقِيقُ

الاسماعيلية في يوليو سنة ١٩٥٢

(١) أسرع للموت (٢) مكة المكرمة (٣) موثوق به (٤) وقعه وثقله

الزيارة الأولى

أَنْ يَعِدَّ الْأَخْبَابُ أَعْرَضْتَ عَنْهُمْ
كَمَا أَعْرَضُوا أَمْ زَائِرٌ مُسَلِّمٌ
دَعَانِي لَهَا الشُّوقُ الدَّخِيلُ وَهَزَّنِي
إِلَى الْمَضْجِعِ الْأَسْنَى حَتَّى تُكَلِّمَ
أَفَضْتُ لَهَا حَتَّى إِذَا جِئْتُ شَفَنِي
تَهَيَّبُ أَوْاهِ (١) يَهْمُ وَيُحْجِمُ
فَلَا أَنَا أَسْطِيعُ الْقُفُولَ فَأَنْتَنِي
وَلَا أَنَا أَسْطِيعُ الْمَثُولَ فَأُقَدِّمُ
وَلَا كَفَفْتُ الدَّمْعَ إِلَّا أَقْبَلَهُ
وَنَهْنَهْتُ (٢) فِي جَنِّي نَارًا تَضَرَّمُ

(١) شديد الحزن كثير التأوه (٢) صرفت ودفعت

دخلتُ عليها في وُضوءى وروعتي
 كما يدخلُ البيتَ المحرَّمَ مُحَرِّمُ
 فوالله ما آنسْتُ إِلَّا تَأَثُّمًا
 ولا استنفتُ^(١) إِلَّا ذَاكِيَا^(٢) يُتَنَسَّمُ
 وَقَفْتُ يَتَّصُ الدهرُ تاريخَ غابرٍ
 من العمرِ والعمرُ ابتسَامُ وأنعمُ
 تمرُّ مواضي الذكرياتِ كريمةً
 كما مرَّ بالَمَطُولِ^(٣) طَيْفُ مُسَلِّمٍ
 تَمَلَّهَا مَنصُورَةٌ الحُسنِ طِفْئَةً
 يُضَيُّ اللُجَى منها جَبِينُ وَمَبْسَمُ
 وطاويةً عهدَ الدَّرَاسَةِ كاعِبا
 تَرَوُعُكَ فِيهَا نَضْرَةٌ وَتَوَسَّمُ^(٤)

(١) شمت (٢) ساطع العرف (٣) المهجور (٤) جمال ورونق

وَمَجْلُوءَةً لِلْعُرْسِ وَضَاءَةً السَّنَى
تَأْوَدُ فِي وَشَى الشَّبَابِ وَتَنْعَمُ

وَجَامِعَةً فِي يَتِّيْهَا تَمْلِكُ يَتِّيْهَا
تَوَسِّطُهُمْ كَالْبَدْرِ حَفَّتُهُ النُّجُومُ

فَمَجْمُوعَةٌ مِنْهُ إِلَى سَاحِ (١) مُفَضِّلٍ
يُقِيلُ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ وَيَرْحَمُ

وَقَفْتُ أَنْادِيَهَا. وَأَهْتَفُ بِاسْمِهَا
وَأُحْلِفُ حَتَّى أَوْشَكْتُ تَتَكَلَّمُ

وَقُلْتُ لَهَا « يَا زَيْنَ » مَا مِنْ لَجْجَةٍ
تُعَاطِفُنِي إِلَّا وَفَّقَكَ أَعْظَمُ

فَأَنْتِ لِعَيْنِي مَذَى تَرَاءُؤِكَ (٢) مُرَّةٌ
وَأَنْتِ لِنَفْسِي مَذَى تَمَلُّكَ (٣) نَوَامٌ

(١) جمع ساحة (٢) رَأَاكَ (٣) استمتعت بك

وَحَبَّبَ فَيْكَ النَّفْسَ عُليَا خِلَافِئِ
إِذَا لَمْ تُحِبَّهَا الْوَشَائِجُ^(١) وَالْدُمُ
سَأْكَرُمُ أَكْبَادًا^(٢) تَرَكْتُ فَإِنْ أُمْتُ
فَإِنْ إِلَهَ النَّاسِ بِالنَّاسِ أَكْرَمُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ « يَا أُمَّ وَائِقِ »
وَوَالَاكَ مِنْ جَدَّوَاهُ هَتَانُ يُجْجُمُ^(٣)
سَيِّبِكَ لَا يَقْنَى^(٤) دُمُوعًا وَلَا دَمًا
مَدَى الْعُمُرِ مَقْرُوحُ الْجَوَانِحِ أَيْمُ^(٥)

الرَّبْعَاءِ فِي ٥ يُولْيُو سَنَةِ ١٩٤٢



(١) أَوَاصِرُ الْقُرْبَى (٢) يَقْصِدُ أَبْنَاءَهَا (٣) يُجْجُمُ وَيَسْجِمُ وَيَهْطُلُ بِمَعْنَى
(٤) يَنْدَحِرُ (٥) فَاقِدُ الرُّوْحِ ، وَفَاقِدُ الزَّوْجَةِ

من لطائف الماضي

إني وقفتُ « بميتِ غمر » ساعةً
فجمعَ الماضي ولاحَ أُمّاي
وتراءتِ الأطيافُ وهي بعيدةٌ
كالبرقِ عارضٍ^(١) من وراءِ غمامٍ
وتدانتِ الأعوامُ تنشرُ ماضياً
خضلاً طَوْنَهُ سِوَالفُ الأعوامِ
وتوالتِ الصُّوَرُ اليَواسِمُ طَلْقَةً
تُروى أحاديثَ الصَّبِّ البَسَامِ
إذ نحنُ في ورْدِ الحياةِ وَخَمْرِها
كالروضِ بينَ الماءِ والأنسامِ^(٢)

(١) برق ولىح (٢) جمع نسيم

والعيشُ ثمَّ كأنه رُقيلُ الندى
حملتُ تحايا الفجرِ للأكامِ

أيامَ نمرحُ في صبا وصَّابةٍ
موصولة الصَّبواتِ والأيامِ

إلفان مؤتلفان نامت عنهما
غيرُ الزمانِ وهنَّ غيرُ نيامِ

يتساقيان رحيقَ ودٍ ساكبٍ
صفو البشاشة كالربيع^(١) الهامى

مرحانٍ كالطفلٍ الغريرِ وتربه
فرحاً بأيسرِ ملابسٍ وطعامِ

كلُّ يَشِيدُ بِألفِهِ وَيُظَنُّهُ
دون الورى مثلَ الكالِ السامى

وَيَكَادُ مِنْ كَلْفٍ يَتَقَدَّسُ ذَاتَهُ
أَعْظَمُ بِتَقْدِيسٍ وَلَيْسَ غَرَامُ

✽
✽ ✽

يَا مِيتَ غَمَرَ ذَكَرْتُ عَهْدَكَ حَالِيَا
وَذَكَرْتُ فِي عِطْفِيكَ طَيْبَ مُقَامِي

وَذَكَرْتُ نَيْلَكَ وَهُوَ يَجْرِي عَنْبَرًا^(١)
أَوْ فِضَّةً فِي رَيْنِكَ الْمُنَارِي

فَإِذَا الْجَمَائِلُ فِي الْأَصَائِلِ فِتْنَةٌ
وَإِذَا الْغِيَاضُ مُكَلَّلَاتُ الْهَامِ^(٢)

أَضْفَى عَلَى الشَّطِّينِ أَنْضَرَ زِينَةٍ
وَتَعَاهَدَ الْبَلَدِينَ بِالْإِنْعَامِ

لَمْ أُنْسَ لَيْلَاتٍ عَلَيْهِ كَانَهَا
مِنْ طَوْلٍ مَا قَصُرَتْ طَيُوفُ مَنَامِ

(١) يقصد بذلك وقت الفيضان (٢) جمع هامة وهي الرأس

رَفَّتْ^(١) لَنَا فَتَنَفَّسْتُ فِيهَا الْمُنَى
كَتَنَفَّسُ الزَّهْرَاتِ فِي الْأَكْهَامِ-

طَوَّفْتُ بِالْبَيْتِ الْحَزِينِ مُسَامًا
فَبِكَيِّ وَأَوْشَكَ أَنْ يَرُدَّ سَلَامِي

وَجَعَلْتُ أَسْأَلُهُ وَأَسْأَلُهُ وَهَلْ
يُجِدِي سَوْأِي أَوْ يُفِيدُ كَلَامِي

أَعَرَفْتَنِي بِإِدَارِ أُمِّ أَنْكَرْتَنِي
نَهَبَ الْأَسَى وَالْبَثَّ وَالْآلَامَ

أَسْوَانٌ^(٢) تَهْوِي نَفْسُهُ مِنْ وَخْشَةٍ
وَاللَّدِيدِ^(٣) فِي مِثْلِ بَحْرِ طَامٍ

لَبِسَ الظَّلَامَ وَعَاشَ فِيهِ وَمَنْ يَذُقُ
مَا ذُقْتُ لَمْ يَأْنَسْ لَغَيْرِ ظَلَامٍ

(١) أضاءت وأشرقت

(٢) أسوان من الأسى وهو الحزين المهموم (٣) حبرة

كنا وكنتِ لنا مهادَ رَفَاعَةٍ^(١)
ومِراحَ خَالِصَةٍ وعُشٍّ غرامِ^(٢)
وضَمَمْتَنَا إِيصَفَيْنِ حينَ توافقا
تَحْمِدا السُّرَى وعواقِبَ الأيامِ
يا دارُ قد مالَ الزمانُ بأنسِنَا
وهوى بموتِقِ شَمْلِنَا المُلْتَمِ
هى فرقةٌ هانت فلم ترقأ إلى الـ
أرواحِ بل هبطت إلى الأجسامِ
يا أُختَ آمالِ الصُّبا ومِراحه
والضَّاحِكِ النَّشْوَانِ من أحلامى
إن تَبَعَدَى فأنا المقيمةُ لوعتى
ومودَّتى حتى يَحِينَ حمامى

(١) لين العيش والهناء (٢) الخالصة الود والتعاطف

ويقالُ لي اصْبِرْ . ما لذلك حيلةٌ
والنارُ بين ترائبي وعظامي
نَفْسٌ مُضْغَضَةٌ وَعَيْنٌ ثَرَّةٌ^(١)
وَحْشاً مَصْ—دَعَةٌ وَقَلْبٌ دَامِ
« يا زين » والدُّنيا تَغَيَّرُ أَهْلَهَا
والناسُ رَهْفٌ تُقَلِّبُ الأَيَّامُ
أَقْسَمْتُ لَا آوِي لغيرِكَ خَلَّةً
عَهْدِي إِلَيْكَ عَلَى الْمَدَى وَذِمَامِي

٣٠ أغسطس ١٩٤٢



(١) كثرة البكاء

وحى الغروب

قلتُ لما رأيتها تتهادى لمغيبٍ في جَوْفِ يَمٍّ سحيقِ
وهي مُصْفَرَّةُ الأديمِ كما اصفرَّ م مشوقٌ أضناه نأى مشوقِ
إيه يا شمسُ والعوالمُ تجري في بُروجِ علويةِ التَّنسيقِ
سابقٌ في سديمه^(١) جدٌّ في السيرِ م فأخلى السبيلَ للمسبوقِ
سُنَّةُ الكونِ والحياةِ دواليكُ م غروبٌ مستأنفٌ من شروقِ
أنتِ ذكَّرتني بشمسٍ من الحورِ م تولَّت في حُسْنِها المزموقِ
في إطارٍ من الجلالِ سَنَى وطرارٍ من الشبابِ أنيقِ
قلتُ هذا صدري تعالى إليه رَبُّ صدرٍ حانٍ عليك شفيقِ
طالعتني بنظرةٍ تجمعُ العطفَ م إلى الودِّ والوفاءِ العميقِ

(١) السديم وجهه سُدم وهي المدن النجومية والسحب من التراب والغاز المضيء.

فِي طَوَايَا صَفَائِهَا الشُّكْرُ لِلَّهِ م وَتَصَدِّقُ وَعْدَهُ الْمَصْدُوقِ
 خَصَّهَا اللَّهُ بِامْتِحَانٍ غَلِيظٍ حَمَلَتْهُ حَمْلَ الشُّكُورِ الْمُطِيقِ^(١)
 دَفَعَتْ صَدْرَهَا إِلَى وَأَلْقَتْ رَأْسَهَا عِنْدَ مُوجِعِ ذِي خُفُوقِ
 ثُمَّ قَالَتْ فِي أَنَّةٍ وَأَنَّةٍ أَزِفَتْ سَاعَةُ الْفِرَاقِ السَّحِيقِ
 لَا تُرْعِ وَأَحْمِلِ الْفَجِيعَةَ جَلْدًا لَسْتَ لِلضَّعْفِ دُونَهَا بِخَلْقِ
 وَأَشَارَتْ لَطْفَالَةً تَشْهَدُ الْهُوَلَ م بِقَبْ دَامِ وَجَفْنِ غَرِيقِ
 قَالَتْ ارْعِ الْأَوْلَادَ وَأَبْقِ كَمَا كُنْتَ م مِثَالِ الْأَبِ الْمُحِبِّ الرَّفِيقِ
 وَمَضَتْ تَنْزِعُ الْحَيَاةَ وَتُلْقِي فِي زَفِيرِ أَعْبَاءِهَا وَشَهيقِ
 فِي سَنَى لَا مِجَّ وَعَرَفَ ذَكْوَى وَابْتَسَامَ عَذْبٍ وَوَجْهَ طَلِيقِ
 لَو تَرَاهَا تَقُولُ قَدَمَسَهَا الْبُهِرُ^(٢) م فَأَوَتْ إِلَى سُبَاتٍ رَفِيقِ^(٣)
 وَوَقَفْنَا مُرَوَّعِينَ نُجْمِلُ الطَّرْفَ بَيْنَ التَّكْذِيبِ وَالتَّصَدِيقِ

(١) تلك إشارة إلى مرضها الذي لارمها في أواخر حياتها

(٢) الأعياء (٣) السبات النوم الخفيف

ثم عُدنا للحقِّ عانين صرعى من مُفَيِّقٍ يَهْدِي وَغَيْرِ مُفَيِّقٍ

✽ ✽

إِيَّاهُ يَا أُخْتَ بَاكَرَاتٍ أُمَانِيَّ م وَأَلْفَ الصَّبَا الْغَرِيرِ الْوَرِيقِ
وَمَنَاطَ الْأَمَالِ نَهَفُو^(١) إِلَيْهَا بَيْنَ وَدٍّ سَمَحٍ وَعَهْدٍ وَثِيقِ
تَتَسَاقَى رَحِيقَ لَهْوٍ كَرِيمٍ أَيْنَ مِنِّي مَسْكُوبُ ذَاكَ الرَّحِيقِ
وَوَدَادًا كَأَنَّهُ قَبْلُ الْأَنْدَاءِ م قَدْ شَافَهَتْ خُدُودَ الشَّقِيقِ^(٢)
عِنْدَ شَطِّ الْغَدِيرِ وَالْقَصْرِ ذِي الْأَعْلَامِ م وَالرَّوْضِ ذِي الرُّوَاءِ الْأَنْيَقِ
وَمَرَاتِي الرِّيعِ فِي حُلَلِ الرِّيفِ م وَمَوْثِيَّ نَسْجِهِ الْمَنَسُوقِ
نَحْسَبُ الْكُونَ كُلَّهُ عُسَّ طِفْلَيْنِ م وَمَعْدَى شَقِيقَةٍ وَشَقِيقِ
وَنَرَى الْعَمَرَ بِسَمَةِ الزَّمَنِ السَّمَحِ م وَنَجْلِي بِهِائِهِ الْمُؤَمِّقِ^(٣)
يَا مِلَازِي إِذَا افْتَقَدْتُ مِلَازِي وَصَدِيقِي إِذَا تَجَنَّى صَدِيقِي

(١) نهفو لسرع (٢) ضرب من الزهر (٣) المحبوب

كَيْفَ خَلَّفْتَنِي وَقَدْ كُنْتُ رَوْحًا وَسَلَامًا أَصْلَى عَذَابِ الْحَرِيقِ
 مِنْ يُوَارَى نَقْصَى وَيَعْمَلُ مَا اسْطَاعَ عَلَى حَسْمِهِ بِحَزْمٍ رَفِيقِ
 مَنْ يُسْرَى عَنِ إِذَا شَفَى الِهِمُّ مَ وَيَشْفَى نَفْسِي وَيَهْدِي طَرِيقِي
 وَأَرَى وَجْهَهُ الصَّبِيحَ فَأَلْفَى فِي تَقَاسِيمِهِ سَنَى التَّوْفِيقِ
 مَنْ مُعِينِي بِثَاقِبِ الرَّأْيِ يَحْلُوهُ مَ وَلِيدَ التَّهْذِيبِ وَالتَّحْقِيقِ
 مَنْ يَقِينِي مَصَارِعَ الْيَأْسِ بِالشَّجِيعِ مَ يُرْجِيهِ فِي يَقِينٍ عَمِيقِ
 مَنْ إِلَيْهِ نَجْوَايَ أَنْ رِيعَ صَدْرِي بِعِلْمٍ مِنْ الْخَطُوبِ مُحِيقِ
 ذَهَبَتْ كَالْنَدَى تَأْتَقُ فَوْقَ الزَّهْرِ مَ فِي غُرَّةِ الصَّبَاحِ الطَّلِيقِ
 وَمَنْضَتْ كَالطَّلَاقَةِ مِنْ أَسَارٍ وَنَأَتْ كَانْفِرَاجَةٍ مِنْ ضَيْقِ
 وَالبَوَاكِرُ لِلخَوَاتِيمِ تُقْضَى وَهَمَا هَامَةً الْفَنَاءِ السَّحِيقِ

بورسعيد في سبتمبر سنة ١٩٤٢

ذكريات

١

يَذْكُرُ نِيكَ كُلُّ جَلِيلٍ أَمْرٍ
وَإِنْ وَقَبٌ ^(١) الْمَسَاءِ فَأَنْتَ أَنْسَى
كَأَنِّي لَمْ أُرَعْ بِنَوَاكِ أَمْسَى
وَأِنْ فَارَقْتَ بَعْضَ الْوَقْتِ حِسِّي
عَلَى حَرَمِ الصَّبَا نُضْحِي وَنُمْنِي
عَلَى وَدٍّ وَخَالِصَةٍ ^(٢) وَقُدْسٍ
هَنَّاكَ عَلَى مَلَاعِبِ ضَا حِكَاكِ
وَسَامٍ ^(٣) لَمْ يُرْعَنْ يَوْمَ وَكُسٍ ^(٤)

(١) وَقَب الظلام أى دخل (٢) حب (٣) جمع وسيم وهو الجميل
(٤) يوم مكروه

بِشَطَى عُنْبَرَى الْمَاءِ يَحْنُو عَلَى وَادِيهِ فِي حَدْبٍ وَهْمَسِ
 جَرَى بَيْنَ الْحُقُولِ رَسُولَ رِفْهِ وَمَسَّ زُرُوعَهُنَّ أَرَبَّ مَسِّ
 يَبَاكُرُ أَيْنَ سَالَ وَحَيْثُ أَفْضَى بِمَوْشَى النَّضَارَةِ كُلَّ غَرَسِ
 ذَكَرْتُ الْقَصْرَ ذَا الْأُتْبَةِ تَعْلُو قَوَاعِدُهُ عَلَى كَرَمٍ وَتُرْسِ
 يَرِفُ^(١) رَفَاغَةً^(٢) وَسَنَى وَبَشَرًا كَمَا رَفَّتْ عُرُوسُ يَوْمِ غُرَسِ
 وَيَمْرَحُ أَهْلُهُ فِي ظِلِّ سَرُورٍ^(٣) وَشَمْلٍ غَيْرِ مُنْشَعِبٍ وَأَنْسِ
 فَمَا زَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَجْرَى بِمَكْرُوهٍ مِنَ الْأَقْدَارِ نَحْسِ
 فَالَوْ كَالنَّجُومِ الزُّهْرِ خُمْسًا^(٤) وَمَا كَانُوا وَحَقَّكَ غَيْرَ خُمْسِ
 حَمَلْتُ مَصِيرَهُمْ فَضَنَيْتِ حُزَنًا قَرَحْتُ شَهِيدَةً تَقْدِيكَ نَفْسِي



رَأَيْتُ الرِّبْعَايَةَ وَهِيَ تَبْكِي مِصَارِعَ خُرْدٍ^(٥) مِنْهَا وَشُمْسٍ^(٦)
 فَلَمْ أَرَهَا كَيَوْمِكَ قَدْ دَهَاها أَسَى صَدَعٍ^(٧) النَّفُوسَ عَنِ التَّامِسِ

(١) يَضَى (٢) رَغْدًا (٣) مَجْد

(٤) بِشِيرٍ إِلَى إِخْوَانِهَا وَعَدْتُهُمْ (٥) الْحَرِيدَةُ السَّيْدَةُ الْخَمْرَةُ وَالْجَمْعُ خُرْدٌ

(٦) جَمْعُ شَمْسٍ (٧) صَرْفُهَا

تذكر يَنكِ أشياء أراها فينشطرُ الفؤادُ لها انشطارا
إذا قمنا لمائدة مساء وإن قمنا لمائدة نهارا
يُطالعنا مكانك وهو خالٍ فتبتدِرُ الدموعُ له ابتدارا^(١)
نحيطُ به فنوسعه حيننا وتقديسًا لذكرك وادِّكارا
نرى بصحافك الجدد العثارا وفي كرسيتك الأمل القفارا
وما يفرى فؤاد أب حزينٍ كأطفالٍ له نُسكبوا صغارا
نأت كالشمس أمهم وفأمسوا وإن كنت الخفي بهم حيارى
وكانوا في فم الدنيا ابتساما فأضحوا أدمعًا فيها غزارا
تذكر يَنكِ وعكثهم فأمسى أعانى لوعةً وأذوقُ نارا
أذيبُ على فراشهم الليالى وأطويها طوالاً أو قصارا
ولو أسكنتهم حباتِ قلبي لما هداوا ولا طعموا قرارا

فلن يُغنيهمو « يا زين » عطفى
حُنُوُّ الأمهاتِ حنوُّ طَبِيعِ
ولو قد سالَ من كبدى وما را^(١)
وتَضَحِيَّةٍ فكيف إذن يُجَارَى

٣

تُذكر نيكِ يا زينُ اليتامى^(٢)
بنو أخويكِ ذاقوا اليتيمُ مرًّا
وقد قَدَّوْا بكِ الكَهْفَ الحَفِيًّا
وكنْتَ لهمْ غداةَ الروعِ أُمًّا
وفي حِضْنِكَ ذاقوه شهيمًا
سَكَبْتَ عليهمْ الأمنَ المَصْنُوعِيَّ
مُفَدِّيةً وكنْتَ أبا كَفِيًّا
وما أنساكَ كَالثَّةُ نهارًا
وخَفَضَ العيشَ والمَطَفَ النديًّا
نسوا في ظلِّ صدركِ كلَّ داءٍ
إذا وَعَكُوا وحاضنةً عَشِيًّا
بكيتُ لهمْ إذا ضاقوا بأمرٍ
ويجمعُ صدركِ الداءَ الدويًّا^(٣)
وما لاقيتهمْ إلا حزينًا
فلمْ يَجِدوكِ فأنفجروا بُكِيًّا
إذا اجتمعَ الشبابُ إلى مِرَاحٍ
ووالهةً ومفتودًا شَجِيًّا
وأنسَ بينهمْ خَلَصُوا نَجِيًّا^(٤)

(١) فاض وتدقق (٢) المقصود باليتامى هنا أبناء اخوتها

(٣) إشارة إلى مرضها (٤) انفرد بعضهم ببعض للنجوى

سَلَامُ اللَّهِ يَأْمُ الْيَتَامَى
 ١٠ لَقَدْ كَانَتْ يَوْمُكَ جَامِعَاتٍ
 وَحَيَّا اللَّهُ مَضَجَكَ السَّنِيَّةَا
 فَأُصْحَتْ بَعْدَكَ انْهَدَمَتْ عَلَيْهِم
 وَكَانَ الشَّمْلُ مُلْتَمًا سَوِيَّةَا
 كَغَضِّ الطَّرْفِ وَانْهَدَمَتْ عَلَيَّا
 فَخَذْتُكَ فِي حَيَاتِي كُلِّ شَيْءٍ
 فَمَا بَدَتْ مَا أَبْقَيْتَ شَيْئًا

٤

تُذَكِّرُنِيكَ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي
 إِذَا نَزَلَتْ أَشَارَ إِلَيْكَ قَلْبِي
 فَإِنَّكَ كُنْتَ لِي مِنْهَا مَجْنَا
 فَدَيْتُكَ مِنْ أَطَالَعِهِ بِهِمِّي
 وَأَجْهَشُ فِي أَضَالِعِهِ وَحَنَّا
 وَمَنْ أَشْكُو لَهُ بَشَا وَحُزْنَا
 وَمَنْ أَفْضَى لَهُ بِمَحْدِثِ نَفْسِي
 وَنَجْوَاهَا إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّا
 وَمَنْ فِي أَذْنِهِ يَا زَيْنُ هَمْسِي
 إِذَا عَمَّ جُفَا وَأَخْ تَجَنَّى
 فَقَدْتُكَ زَوْجَةً وَأَخًا وَأَخْتًا
 وَأَمَّا بَرَّةً وَأَبَاً وَخِدْنَا
 وَنَاصِحَةً تَرْفُ الرَأْيَ فَصَلَا
 إِذَا مَا أَوْجَهُ الرَأْيَ اضْطَرَعْنَا^(١)
 وَحَافِزَةً لِكُلِّ عَظِيمٍ أَمْرٍ
 وَهَادِيَةً خُطَايَ إِذَا ضَلَلْنَا

(١) من صراع الآراء إذا اختلفت وتضاربت

وَكُنْتُ عَلِيمَةً بِقَلِيلٍ نَقَصِي	سواء ما استبان وما استجنا
عَرَّضْتُ لَهُ بِتَهْذِيبٍ وَبُيْدٍ	وَمِنْ يَهْمِهِمْ بِإِصْلَاحٍ تَأَنِّي
وَكُنْتُ إِذَا جَهِلْتُ بِذَلَّتْ حِلْمًا	فَعُدْتُ إِلَيْكَ مُعْتَذِرًا مُعْنِي ^(١)
وَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ وَضَاقَ صَدْرِي	سَكَبْتُ عَلَيْهِ أُنْسَكَ فَاطْمَأَنَّا
سَتَفَنِي ذِكْرِي أَلْخَلِقَ عِنْدِي	وَذِكْرُكَ فِي الْجَوَانِحِ لَيْسَ يَفْنَى

٥

يُذَكِّرُنِيكَ مَا دَمِيَّتْ جَفُونُ	وَمَا شَقِيَّتْ بِمَا حَمَلَتْ نُفُوسُ
مَنَازِلُ كَلِمَا ذُكِرَتْ تَدَاعَى	لَهَا قَلْبِي وَعَاوَدَهُ الرَّسِيسُ ^(٢)
مَرَرْتُ بِطَنْطُودَا فَأَذَابَ نَفْسِي	وَأَذَى الذِّكْرِيَّاتِ جَوَى ضُرُوسُ
ذَكَرْتُ بِهَا لَيَالِي نِيَّاتٍ	تَقُولُ جَلَّتْ دِيَا جِيهَا الشَّمُوسُ
تَطَالَعَهَا السَّعُودُ بِكُلِّ يُعْنِ	مُبَاكَرَةً فَتَنَجَابُ النُّجُوسُ
لَقَدْ شَهِدَتْكَ طَنْطُودَةُ عُرُوسًا	تَرْفُ ^(٣) بَرُونِقِ الْحُسْنِ الْعُرُوسُ

(١) متعباً . مهتماً (٢) ابتداء الحكي والألم بصفة عامة

(٣) تشرف أو تهنأ

تَأَوَّدُ فِي حِمَى الْحَسَبِ الْمُصَفَّى وَفِي عِطْفِ الصَّبَا الْحَالِي تَمَيِّسُ
حَبَسْتُ^(١) بُعْثًا فَانْهَلْ دَمْعِي وَضَجَّ بِأَضْلَعِي الشَّجَنُ الْحَبِيسُ
وَقَلَّ لِمَنْزِلِ الصَّبَوَاتِ دَمْعُ يُرَاقُ وَلَوْعَةُ حَرَّى تَنُوسِ^(٢)
وَقُلْتُ لَهُ لَقِينُكَ بَعْدَ دَهْرٍ تَرَادَفُ أَنْعَمُ فِيهِ وَبُوسُ
أَتَذَكُرُنَا إِلَى حِضْنِيكَ نَأْوِي وَأَنْتِ الضَّاحِكُ الْبَرُّ الْأَنْيَسُ
تَدُورُ بِنِعْمَةٍ وَهَوَى وَرَفَةٍ عَلَيْنَا فِي مَغَانِيكَ الْكُؤُوسُ
نَرَا^(٣) لَدَيْكَ لَيْلٌ عَصِيبُ يَسَاوِرُنَا وَلَا يَوْمٌ عَبُوسُ
لَقَدْ مَالَ الزَّمَانُ بِعِدَلِ نَفْسِي فَدَثَّمَهَا النَّفْسُ تُبْدِلُ وَالنَّفِيسُ

٦

يُذَكِّرُنِيكَ بِأَكِيَّةٍ وَبَالِ مِنْ أَبْنَاءِ السَّبِيلِ الْبَائِسِينَا
وَحَانِيَّةٍ الضَّلُوعِ عَلَى يَتَامَى بِمُدْرَجَةِ الطَّرِيقِ مُرُوعِينَا
وَجَوْعَى يَسْأَلُونَ النَّاسَ جَهْرًا وَغَرْتِي غَيْرُهُمْ لَا يَسْأَلُونَا
وَكُنْتُ غِيَاثَهُمْ سَكَبْتُ عَلَيْهِمْ يَدَاكَ الْبَرَّ مُخْضِلًا هَتُونَا

(١) وقت (٢) تنوس تتحرك (٣) نرتاح ونطمئ

مَسَحَتْ دُمُوعَهُمْ وَبَكَيْتِ عَطْفًا
 رَعَاكَ اللَّهُ كَمْ يَتِّ كَرِيمٍ
 أَسَيْتِ جِرَاحَهُ وَدَفَعْتَ عَنْهُ
 وَأَقْسَمُ كُنْتُ تُخَفِّينِ الْعَطَايَا
 وَقَدْ تَهَيَّيْنِ مِمَّا لَيْسَ فَضْلًا^(١)
 مُصَابِلُكَ عَمَّ مِنْ عَرْفُوكِ طَرًّا

لَهُمْ وَأَنْلَيْتِهِمْ خَفَضًا وَلَيْسَا
 أَصِيبَ فَكُنْتُ مَلْجَأَ الْأَمِينَا
 وَوَأَسَيْتِ الْحَزِينَةَ وَالْحَزِينَا
 وَتَوَلَّيْنِ الْجَمِيلَ وَتَكْتَمِينَا
 وَتُعْطَيْنِ الْكَثِيرَ وَتَوْثُرِينَا
 وَخَصَّ فِدْيَتُكَ الْمُسْتَظْعَفِينَا

٧

تَذَكَّرِيكَ كُلُّ صَلَاةٍ وَقْتٍ
 وَمَا أَذَيْتُ حَقَّ اللَّهِ إِلَّا
 مِنَ الْأَعْمَاقِ أَرْسَلُهُ دُعَاءَ
 لِيُدْفَعَ عَنْكَ غَائِلَةُ اللَّيَالِي
 وَيُكْشِفَ عَنَّا دَهْمَتِ فَأَرْسَلَتْ
 عَرَفْتُ دَوِيَّ دَائِلِكَ مِنْ قَدِيمٍ

فَمَا أَغْفَلْتُ ذِكْرَكَ فِي صَلَاتِي
 وَكَانَ إِلَيْكَ يَا زَيْنُ التَّفَاتِي
 تَسَرَّبُ فِي دُمُوعِي السَّالِحَاتِ
 وَيَمْنَعُ عَنْكَ بَاغِتَةُ الشَّكَاةِ
 صَبَرْتُ لَهَا اصْطِبَارَ الْمُؤْمِنَاتِ
 فَلَمْ تَتَّقِ بِأَمَالِ الْحَيَاةِ

(١) زائدة عن الحاجة

وَكُنْتُ إِذَا لَقَيْتُكَ مُطْمَئِنًّا
 شَهِدْتُ مَصَارِعاً وَرَأَيْتُ صَرَغِي^(١)
 مُنِيَّتٍ بِفَقْدِهِمْ فَحَمَلْتُ عِبْثًا
 ذَوَيْتُ وَرَاءَهُمْ عُضْوًا فَعَضْوًا
 وَنَهْنَه^(٢) لَوْعَتِي « يَا زَيْن » أَنِّي
 وَإِنْ حُمَّ الْقَضَاءُ فَلَا أَسَاءُ^(٣)
 عَلَيْكَ عَجِبْتُ مِنْ أَمَلِي الْمَوَاتِ
 تَهَاوَوْا كَالشَّمُوسِ الْآفَلَاتِ
 يَشْقُ عَلَى الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ
 كَمَا يَذْوِي الصَّدْيُ^(٤) مِنَ النَّبَاتِ
 حَشَدْتُ لَكَ الْأَطْبَاءَ الثَّقَاتِ
 فَقَدْ يَجْرِي الْقَضَا بِيَدِ الْأَسَاءِ^(٥)



(٢) الصادي
 (٤) الأطباء

(١) إشارة إلى تنازع إخوتها قبلها
 (٣) خفف

اشجانِ مريضان

الفَيْتَنِي مَذْجَتَ لِيضَوْ شُجُونِ
وَشَهِدْتَ وَاصِبَ لَوْعَتِي وَأَيْنِي
وَلَقَيْتَنِي فَرْدًا^(١) حَتَّى أَضْلَاعَهُ
فِي الْأَيْمَنِ عَلَى جَوِي وَحَنِينِ
غَالِ الرَّدَى إِلْفَ الصَّبَا وَقَرِينَهُ
فَتَرَكْتُ فِي الدُّنْيَا بَعِيرَ قَرِينِ
أَسْوَانَ بَعْضُ أَمْسَاءِ يَنْهِكُ مَهْجَتِي
حَيْرَاتٍ أَيْسَرُ حَيْرَتِي تُرْدِنِي
صَاحِبًا فَأَهْوَنُ مَا يَمْضُ يَمْضُنِي^(٢)
وَأَقْلُ مَا يُبْكِي أَمْرًا يُسْكِنُنِي

(١) وحيداً (٢) ثلاثة ورابعة يحزن ويؤلم

رمضان ويُنْحَكُ ذِكْرُ يَأْتُكَ جَمَّةٌ
 والذِّكْرِيَّاتُ ذَخِيرَةُ الْمُحْزُونِ
 كَانَتْ تُطَالِعُنَا لِيَالِيكَ الَّتِي
 سَلَفَتْ بِأَيِّمِنٍ عَارِضٍ وَجَبِينِ
 وَتَرَدُّنَا لَهْوَى الصَّبَا وَجَنُونِهِ
 وَهَوَى الصَّبَا سَقَطَ ^(١) بَغِيرِ جَنُونِ
 فِي مَنْزِلٍ جَمَعَ الْوَثَارَةَ ^(٢) وَالْمَنَى
 مَجْلَاوَةً مَنُضْوَرَةً التَّلَوِينَ
 تَحْمِيلَةَ الْغَرْدَيْنِ فِي أَحْضَانِهَا
 أَمِنَا عُيُونَ كَوَاشِحِ وَعُيُونِ
 مَرَحَانِ صَاغَهُمَا النِّعِيمُ فَأَمْسِيَا
 فِي نَضْرَةٍ يَتَقَلَّبَانِ وَلِينِ

(١) لقو (٢) الهناءة والنعمة

نَسِيا الدُّنَا وتفرَّغَا لهــــواها
وتزايلا في قُدسه الكُنونِ
ذَهَبَتْ كما ذهب الضُّحَى مُتَالِقَا
وَبَقِيَتْ أَضْرَبُ في المِثَالِ الجُونِ^(١)
وَذَوَتْ بِشَاشَاتِ الحَيَاةِ ولم يُعَدْ
في أنسها يَا زَيْنُ ما يُصِيبُنِي
أَزُورُ عَنْ لَأْلَائِهَا ونعيمِهَا
فَإِذَا جَنَحَتْ لَهَا تَقَشَّعُ دُونِي
يُسِّرْتُ لِلْبِأْسَاءِ أَحْمَلُ عِبَاها
في بَثٍّ مَفْوُودٍ وَيَأْسٍ غَبِيرِ
لَوْلَا وَدَائِعُكَ الَّتِي اسْتَوْدَعْتَنِي
لَنَفَضْتُ مِنْ هَذِي الحَيَاةِ يَمِينِي

لم أنس يومَ هفا^(١) فعاَجَلَكَ الردى
 هَمْسًا بَذَلَتْ إِلَى غَيْرِ مُبِينِ
 وَسَنَّاكَ لِمَا حَ . وَنَفْسُكَ طُلُقَةً
 تَسْنَى^(٢) بِإِيمَانٍ وَصِدْقٍ يَقِينِ
 قُلْتُ ارْزَعْ أَكْبَدْنَا الضعافَ وَأَوْلَهُمِ
 مَنْ عَطْفِكَ الْمُنْهَلُّ مَا تَوَانِي
 قَرَّيْ فِهِمْ يَا زَيْنَ بَيْنَ جَوَانِحِي
 فَإِذَا جَلَّوْا عَنْهَا فَبَيْنَ جُفُونِي
 يَا زَيْنُ إِنْ ثَقُلَ الْوَفَاءُ عَلَى الْوَرَى
 فَتَصَابُؤًا^(٣) عَنْ شَرِّهِ الْمُسْنُونِ
 فَأَنَا الْمُقِيمُ وَفَاؤُهُ وَوَدَادُهُ
 عَهْدِي إِلَيْكَ عَلَى الْمَدَى وَيَعْنِي

بورسعيد في ١١ سبتمبر ١٩٤٢

(١) أسرع (٢) تضىء (٣) خرجوا عن الشرعة

في بطحا ومكة

رَفَعَتْ^(١) الْأَرْضُ حَوْلَهَا وَالسَّمَاءُ وَتَنَاهَىٰ لَهَا السَّنَى^(٢) وَالسَّنَاءُ^(٣)
 وَزَكَعْنَدَهَا الْهُدَىٰ فَإِذَا الْكَوْنُ م جَمَالٌ وَرَحْمَةٌ وَإِخَاءُ
 قَفَّ بِبَطْحَائِهَا قُبَالَةَ بَيْتِ اللَّهِ م وَاخْشَعُ فَإِنَّهَا الْبَطْحَاءُ
 بَارَكَ اللَّهُ حَوْلَهَا وَاجْتَبَاهَا فَزَكَتْ فِي صَعِيدِهَا الْأَنْبِيَاءُ
 الْمَدْيَحُ الْكَرِيمُ وَالذَّابِحُ السَّمِيعُ م حَنِيفٌ نَتَمَّهَا خُتَفَاءُ
 رَفَعَهَا يَبْنِيهَا الْعَتِيقُ عَلَى التَّقْوَىٰ م فَعَزَّ الْبَانِي وَطَالَ الْبِنَاءُ
 قُدُسٌ تُشْرِعُ الْوُجُوهُ إِلَيْهِ مَا تَرَاهِي صَبِيحٌ وَقَامَتْ عِشَاءُ
 وَتَرَاهِي لَهُ الْحَجِيجُ وَهُمْ لِلْأَيْنِ م نَهَبٌ وَالسُّرَى أَنْضَاءُ
 أَنْفُسٌ لِلْيَقِينِ ظِمَاءٌ فَمَا تَبْلُغُ م حَتَّىٰ يَنْجَابَ ذَاكَ الظَّمَاءُ
 وَقُلُوبٌ لِلنُّورِ تَهْفُو فَمَا تُشْرِفُ م إِلَّا وَنُورُهَا لِأَلَاءِ
 قَلَّتْ لِلنَّفْسِ وَهِيَ نَهَبُ الْأَحَاسِيْسِ م تَنْزَى^(٤) وَتَغْتَلِي مَا تَشَاءُ
 رَحْبَةٌ عِنْدَ رَوْعَةٍ يَتَسَاوَى عِنْدَهَا الْأَيْدُونَ^(٥) وَالضُّعَفَاءُ

(١) أشرفت (٢) الضوء (٣) الشرف (٤) تتحرك في ألم (٥) الأقوياء

إليه يأنفس أن تاريخ هذا الكون م ضمته هذه الأنقاء^(١)
 عفر الدهر رأسه في ثراها وعنت عند قدسها الجوزاء
 وجئت عزة الملوك لديها ومعالي الأمور والكبرياء
 آنت^(٢) أزوع انقلاب على الأرض م طواها كأنه الكهرباء
 ثورة كرم الخليقة فيها ربها فهي ثورة يضاء
 أينعت تحت آل عبد مناف فاستظلت بظلمها الأفناء^(٣)
 سدر البيت هاشم وبنوه عترة ساكب عليها السناء
 فيديه حجاب البيت^(٤) والندوة^(٥) م والسقي والقرى واللواء^(٦)
 واذكر القيل^(٧) كيف جاء والهدم البيت ثم انذنوا وبالحزى باءوا
 دفع الله كيدهم وأذاهم فإذا الطير جنده والوباء
 قل لأم القرى^(٨) عدتلك العوادي وسقت رملك الظهور السماء
 قرية تعمم العوالم رياء وسنى وهى صفصف جرداء
 كيف أنكرت بعنة وهو هذا أنجبت م صدق وعصمة ووفاء

(١) جمع نقا وهى مجتمع الرمل
 (٢) رأى (٣) القبائل
 (٤) مفاتيح الكعبة (٥) رئاسة الاجتماع كل أيام العام (٦) باقى
 مناصب الكعبة والسيادة (٧) المقصود أصحاب القيل (٨) مكة

الأمينُ المُشيعُ النفسَ بالإيمانِ م والفردُ ما له نظراءُ
شِبَّ فيكَ اليتيمَ ضَمَّتْ أباهُ في الصبا النضرُ يثربُ الغراءُ
وطوى أمه الردى فطوتها في عجالي شبايها الأواءُ^(١)
أنجياه وأسماه نبيءَ تَضُمُّفُ الأرضُ دونهُ والسماءُ
أنجياه كالصبيحِ أسفرَ فأنجابه^(٢) م ظلامُ القلوبِ فهي وضاءُ
وحجَّيَ بَصَرَ الأَنامِ فعاقتَ جهنَّها الجاهليَّةُ الحقاوُ
وهُدَى طَهَرَ النفوسَ من الكفرِ م ولكفرِ في الورى استعمالُ
ويقينًا للكونِ فيه من الشكِّ م ومن حيرةِ العقولِ جلاءُ
ومُقلاً يَسْنَى عليه غنى النفسِ م وفيه عن كلِّ مالٍ غناءُ
لم تَكُونِي له مِثْلًا أَمِنْ وَعَلَى الأَمْنِ قامَ فيكَ البناءُ^(٣)
نالَه بالهوانِ أَهْلَكَ بغيًا وتبارى الكرامُ والسفهاءُ
وإذا ناصبَ^(٤) الكريمَ ذوره فَعَلَى الفضلِ والنَّصابِ^(٥) العناءُ

(١) قرية بن مكة والمدينة نوبت ودعت بها آمنه بنت وهب أم رسول الله
(٢) انكشف (٣) إشارة لذكره تعالى في رِياض ذلك إبراهيم وب أجل هذا
البلد آمناء (٤) عادى (٥) المجاد

دَعُ حِرَاءَ فَاوْ أَحْسَنَ حِرَاءَ مَا رَأَى غَارُهُ ^(١) لَحْرَ حِرَاءَ
 شَهِدَ الْخَلْقَ كَيْفَ كَرَّمَهُ اللَّهُ مَ بَدِينِ هُوَ السَّبِيلُ السَّوَاءُ
 يَوْمَ يُلْقَى جَبْرِيلُ مُعْجِزَةَ الدَّهْرِ مَ كِتَابًا بَأْيَهُ يُسْتَضَاءُ
 قِيلَ سِحْرٌ وَقِيلَ بَلْ هُوَ شِعْرٌ دُونَ هَذَا وَتَقْصُرُ الشُّعْرَاءُ
 إِنَّهُ الْبَيِّنَاتُ تَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مَ وَتَبْلَى الدُّنَا وَيَفْنَى الْفَنَاءُ

❖
❖ ❖

طَافَ فِي خَاطِرِي وَمَكَّةُ دَارِي صُورُهُ عِبْقَرِيَّةٌ غَرَاءُ
 فِي سَجَلِ الْخُلُودِ وَالْحَزْمِ وَالْإِيْعَانِ مَ مَا إِنَّ لَهَا الزَّمَانَ كِفَاءُ
 يَوْمَ أَوْدَتْ خَدِيجَةً وَأَبُو طَالِبَ مَ أَوْدَى الْحِمَاءُ وَالْخُلَصَاءُ
 خَلْفَاءُ نَهْبًا لِحَقْدِ قَرِيشٍ رَبَّ أَهْلٍ نَشَقَى بِهِمْ وَنُسَاءُ
 شَرُّ ضَرْبٍ مِنَ الْعِدَاوَةِ أَنْ يَغْشَاكَ مَ مِمَّنْ تَهْوَى وَتَفْدَى الْعِدَاءُ
 حَبَسَتْ عَنْكَ سَمْعَهَا مَكَّةُ الْبَيْضَاءُ مَ كِبَرًا وَالطَّائِفُ الْخَضْرَاءُ
 جَعَّتْهَا مُوَحْشًا رَفِيقُكَ عَزْمٌ وَيَقِينٌ إِنْ عَزَّتِ الرِّفْقَاءُ
 رَاجِيًا فِي ثَقِيفٍ لِلدَّعْوَةِ السَّمْحَاءِ مَ انْصَرًّا نَخَابَ فِيهَا الرِّجَاءُ

(١) إشارة إلى أول الوحي ففد جاءه وهو قائم بالغار

لم يُجيبوك للذي جئت تدعو بل تغشاك منهم الإيذاء
 يا شفيع الأنام ما شفّع الحقُّ م لديهم ولا أعان الولاء^(١)
 وكأني أراك في حرّم الحائط^(٢) م تشكو فتزجف الأرجاء
 في مناجاتك الرفيعة لله م معانٍ قدسية عصماء^(٣)
 صغرت عندك الشدائد ما حَفَّك م من ربّك الكريم احتفاء
 واذكر الهجرة التي جَلَّلَ الدهرَ م سناها المبارك الوضاء
 دفعَ الضَّعْفُ والهوانُ إليها والسياساتُ والحجى والدهاء
 خرجا يضربان في عَتَمَةِ الليلِ م تبيّرُ يَفْدِيهما وكِداء^(٤)
 فاسأل الغار كيف ضمَّ الطريدين م وأخفى . وهل لشمس خفاء
 ثاني اثنين فيه ربُّهما الثالثُ م فهو الملاذُّ وهو الوقاء
 فصلا^(٥) عنه والحدارُ زميلُ لهما والمهامِ الجرداء

(١) إشارة إلى صلة كانت بين آل النبي وأشراف الطائف (٢) هو بستان
 لمروة وشيبة ابني ربيعة (٣) كان مما ناجى رسول الله ربه يومئذ قوله
 صلى الله عليه وسلم : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على
 الناس ... رب إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمرى . إن لم
 يكن بك على غضب فلا أبالي ... لك العتي حتى ترضى . ولا حول ولا قوة إلا بك
 (٤) جيلان بمكة (٥) خرجا منه

كُلَّمَا كَلَّتِ الْمَطَايَا مِنَ الْأَعْذَادِ^(١) م صَاحَا أَنْ النِّجَاقَ النِّجَاءَ^(٢)
 فَإِذَا يَثْرِبُ الْخَفِيَّةُ دَارُ^(٣) وَإِذَا النُّصْرُ عِنْدَهَا وَالْوَلَاءُ
 وَأَذْكَرِ الْفَتْحِ كَيْفَ قَرَّبَ إِلَيْهِ الدِّينَ م وَعَزَّتْ بِعِزِّهِ السَّمْعَاءُ^(٤)
 حَقَّقَ اللَّهُ وَعْدَهُ لِرَسُولِهِ اللَّهِ م وَالْوَعْدُ مِنَ لَدُنْهُ وَفَاءُ
 رَبٍّ فَتَفْتَحُ نَوْمِي لَهُ الْأَرْضُ مُجِبًا وَافْتَتَانًا وَتَسْتَخْطِلُ السَّمَاءُ
 قَدْ تَحَلَّتْ أُمُّ الْقُرَى وَأَشْرَابُ^(٥) الْبَيْتِ م زَهَبُوا وَازْدَانَتْ الْبَطْحَاءُ
 أَقْبَلَ الْفَاتِحُونَ فِي الْجَحْفَلِ الْمَجْزِ^(٦) م يَزِينُ الْآبَاءُ فِيهِ الْمَضَاءُ
 وَعَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاحَةِ وَالْعَفَةِ م وَالِدِينَ وَالْهَدَى رُقْبَاءُ
 لَا هَوَى يَغْلِبُ النُّفُوسَ عَلَى الْقَصْدِ م وَلَا خَيْلَةً^(٧) وَلَا بَغْضَاءُ
 لَا وَلَا نَشْوَةَ الْمَشِيعِ بِالنَّصْرِ م وَلِلنَّصْرِ نَشْوَةٌ حَقَاءُ
 قَدْ شَأَى النَّاسَ بَيْنَ عَرَبٍ وَمُجْجَمٍ شَهَدَ اللَّهُ هَوْلَاءُ الصُّبَاءُ^(٨)
 الْأَشْدَاءُ فِي الْجِهَادِ وَفِي الْحَقِّ م وَفِيهَا عِدَاهَا الرُّحَمَاءُ
 وَقَفَ الدَّهْرُ خَاشِعًا حِينَ وَافَتْ تَهَادَى بِرَبِّهَا الْقُصَوَاءُ^(٩)

(١) السير السريع (٢) الأسراع (٣) المقصود الفريعة السمحاء
 (٤) نسائي (٥) العظيم الكنيف (٦) كبير وخيلاء (٧) الصابي
 الخارج عن دينه وكانت قریش تسمى المسلمين الصباء زراية بهم (٨) فاذة النبي

الهدى والوقار والنبيل والسرو م عليها والعزّة القساء
 ومنازل القرون تمثله^(١) الرسل م وتمشى في ظلّه الأنبياء
 ثم أفضى إلى العتيق فقال الناس م قد حاق بالعصاة البلاء
 قد عتونا عليهم وبغينا فانظروا اليوم ما يكون الجزاء
 قال يا أهل مكة ما تقولون م فقالوا الأسجاح^(٢) والإغضاء
 قال في حكمة وبارع رأي لا عليكم فأنتم الطلقاء



مهبط الوحي هل إليك مآب وإلى بيتك العتيق انثناء
 لو تراخت لنا الحياة رجعنا وهدانا لك الهوى والوفاء
 فسلام عليك في حرم الخلد م وسلم ورحمة وثناء
 وردتلك النفوس وهى ظماء فازتوت وانثنت وهن ظماء

مكة المكرمة في ديسمبر سنة ١٤٢٢



(١) مثله يمثله : يآتم به وينسج على منواله (٢) الاحسان والعفو

على عرفات

ذَكَرْتُكَ يَوْمَ النَّفَرِ^(١) والدمعُ ساجمُ
عَلَى عِرْفَاتٍ وَالنَّزَاعِ عُرَامُ^(٢)
فَأَجْهَشُ قَلْبِي جَهْشَةً رَاحَ بَعْدَهَا
وَفِيهِ مَرَّاحٌ لِلضَّنَى وَمَسَامُ^(٣)
وَأَنْكَرَ أَصْحَابِي بَكَائِي وَلَوْعَتِي
وَقَالُوا أَتَبْكِيهَا وَأَنْتَ حَرَامُ^(٤)
وَحَقُّ الَّذِي عِنْدِي لَهَا مِنْ مَوَدَّةٍ
وَشَوْقٍ لَهُ بَيْنَ الضَّلُوعِ ضِرَامُ
وَعَهْدٍ عَقْدَتَاهُ صَغِيرَيْنِ لَمْ تَهْنُ
لَهُ مَا حِينُنَا حُرْمَةً وَذِمَامُ

(١) يوم عرفة (٢) شديد وحاد (٣) مرعى (٤) محرم

فليس بكائِها لأنى فقـدتها
 وكلُّ حياءٍ للمنية هـام^(١)
 وكلُّ نعيمٍ اليومِ مُحْتَضَرٌ غداً
 وكلُّ ابتداءٍ مُعْتَرِبه ختامُ
 وسبحانَ من يُنشئُ ويُفنى فتخلف الـ
 دهورٌ دهورٌ والأُنـامُ أنـامُ
 بكيتُ لها أنْ لم تَقِفْ وقفةَ الرضا
 على عرفاتٍ والحجيجِ قِيامُ
 مُلَبِّينَ بَكائينَ يستغفرونه
 وبعضُ الدموعِ السافحاتِ كلامُ
 ولم تَطْوِفْ بالعتيق ولم تُقِصْ
 إلى روضةِ الهادى عليه سلامُ

(١) هـام هنا بمعنى الهدف

إلى روضةٍ فيها الهدى يغمُرُ السنى
 وفيها لألوانِ الكمالِ زحامُ
 مقامُ رسولِ الله للكونِ رحمةٌ
 وأمنٌ وللسميحِ الكريمِ^(١) قوامُ
 منى صوّحت^(٢) كالروضِ جافاهُ جدول
 وضنّ فلم يسكبْ عليه غمامُ



وقفتُ أناجى الله عند المشاعرِ^(٣)
 وقد خشعت نفسي وجاشت خواطري
 وقلتُ له قد شفّها فأذابها
 حنّى دبّ في حالٍ من العمرِ ناضرِ
 وحافت بها الأحداثُ شتى شكورها
 فلم تلقها إلا بإيمانٍ صابرِ

(١) الدين (٢) جفت وييست
 (٣) الشعر الحرام بالمزدلفة ومشاعر الجرات بنى

أَخْ فَأَخْ ثَانٍ فَأَخْتُ فَثَالِثٌ
تَهَاقَوْا دِرَاكَا كَالنَّجُومِ الزَّوَاهِرِ

تَلَقَّتْ عَلَى ضَعْفٍ مُصِيدَاتٍ فَقَدِمْ
فَنَاءَتْ بِفَدَاحٍ مِنَ الْخَطْبِ صَاهِرٍ

وَزَالَتْ كَطَلٍّ الْفَجْرِ لَمْ تَخْلُ رَوْضَةً
تَمَاهِدَهَا مِنْ عِبْقَرِيٍّ الْمَآثِرِ

وَقُلْتُ لَهُ يَا رَبِّ أَقْسِمُ صَادِقًا
وَأَنْتَ عَلِيمٌ رَبَّنَا بِالسَّرَائِرِ

فَمَا بَرِمَتْ يَوْمًا بَدَاءٌ وَلَا شَكْتُ
لِغَيْبِكَ مَا قُدَّرَتْهُ مِنْ مَقَادِرِ

وَمَا فَتَّرْتُ عَنْ شُكْرِ أَيْدِيكَ عِنْدَهَا
وَرُبُّ صَحِيحٍ نَاعِمٍ غَيْرُ تَسَاكُرِ

فَأَجْزَلُ لَهَا يَا رَبِّ نِعْمَةٌ مُنْعَمٍ
تَذِيكَ وَطَالِعَهَا بِغَفْوَاتٍ غَافِرِ



بَنَى ابْتُلِينَا بِاللَّيَالِي الْغَوَادِرِ
تَكَرُّ عَلَيْنَا وَالْجُدُودِ الْعَوَاشِرِ
فَقَدَدْنَا بِهَا نُعْمَى الْحَيَاةِ وَأَمْنَهَا
وَهُنَّا كَعَقْدِ اللَّوْاؤِ الْمَتَنَاشِرِ
سَنَضْرِبُ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَنْ نَجِيئَهَا
بِقِسْمَةِ مُحْرُومٍ وَصَفْقَةٍ خَاسِرِ

مكة المكرمة في ديسمبر سنة ١٩٤٢



فِي عَوَالِي مَنَى

ولما مررنا بِالْحَجَوْنِ^(١) وطالعت
سوابقُ سيارَاتِنَا الخَيْفَ من مَنَى
وقيل بلغتم مسجدَ الخَيْفِ فاحبسوا^(٢)
وَأَن لَّضَيْفٍ^(٣) اللَّهُ أَن يَبْلُغُوا الْمُنَى
ذَكَرْتُكَ فِي أَنْسٍ وَرَوْحٍ وَغِبْطَةٍ
ومَذَبْتُ لَمْ أَذْكُرْكَ إِلَّا عَلَى ضَنَى^(٤)
يُحَدِّثُنِي قَلْبِي وَقَلْبِي مُصَدِّقٌ
ونحنُ بِأَرْضٍ شَعَّتِ الطُّهْرَ وَالسَّنَى
بِأَنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ
رَعَاكَ فَأَذْنِي وَاجْتَبَاكَ^(٥) فَأَحْسِنَا

(١) مكان بين مكة ومنى (٢) قفوا وانزلوا (٣) جمع ضيف كأضياف
(٤) الألم والمعاناة (٥) اصطفاك

حَفَّتْ بِبَيْتِ الْقُرْ وَافَتْ جَمُوعُنَا
 إِلَى سَاحِلِهِ مِنْ كُلِّ فِجٍّ فَضَمَّنَا
 وَبِالرَّوَضَةِ الشَّوَى بِهَا سَيِّدُ الْوَرَى
 وَمُضْجِعِكَ الْأَسْنَى وَمَا قَدْ تَضَمَّنَا
 عَرَفْتُكَ مِنْ عَشْرِ وَعَشْرِينَ قَبْلَهَا
 إِذِ الدَّهْرُ مُوَصَّلٌ بِهِ الْخَفْضُ^(١) وَالْهَنَا
 سَنِينَ الصَّبَا نَشْوَانَ وَالْحُبِّ ثَائِرًا
 وَعُشُّ الْهَوَى فِينَا وَالْعَيْشِ لَيْنًا
 فَمَا كُنْتُ إِلَّا رَحْمَةً لِي وَنِعْمَةً
 وَرَوْحًا وَرِيحَانًا وَهَدْيًا وَمَأْمَنًا
 وَمَا كُنْتُ إِلَّا صَادِقَ الْوَعْدِ وَافِيًا
 وَلَيْسَ الْوَفَا فِي مَيِّعَةِ الْعَمْرِ^(٢) هَيِّنًا
 وَقَانِي كَمَالُ فَيْكِ أَنْ أَتَّبِعَ الْهَوَى
 كَمَا يَفْعَلُ الْفَتَيَانُ أَوْ أَتَلَوَّنَا

(١) وَغَدِ الْعَيْشُ وَلِيْنَهُ (٢) أَوَّلُ الشَّبَابِ

وما كنتُ زوجاً خان « يا زين » بيته
ومن خان ظنَّ السَّوءَ ثم تحوَّنا
وما كنتُ أرضى غيرَ أنسِكَ مَشرعاً
وما كنتُ أبغى غيرَ عَظْفِكَ مُقتنى
وما كان لي إلا بِبَيْتَيْكَ مُتعةً
فزالا وكانا لي وللسَّعدِ مسكناً
وكنْتَ لي الظلَّ المقدَّسَ والجَنَى
فأمسيتُ قد رُوِّعتُ في الظلِّ والجَنَى
أرواحُ على نارٍ وأغدو على جَوَى
فيا لمصابٍ قد أصابَ فأثخنَا
عليكِ سلامُ الله « يأمَّ واثق »
تحيَّةٌ مقروح بكاك فينَّا
مكانُك في بيتي مصونٌ ومهجتي
وذلك عهدُ الله « يا زين » بيننا

منى في ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٢

فِي أَيَّامِ الشَّرِيقِ

وَلَقَدْ كَرَّتْكَ فِي ثَلَاثٍ مِّنِّي^(١) بِالْمَازِمِينَ^(٢) فَعَقَّنِي صَبْرِي
 هَمَّتِ الدَّمُوعُ وَأَجْهَشْتُ كَبْدِي وَتَرَنَّحَ الْمَسْكِينُ فِي صَدْرِي
 وَذَكَرْتُ عِزْمَكَ غَيْرَ وَانِيَّةٍ وَالْعِزْمُ لَا يَخْلُو مِنَ الْأَجْرِ
 فَجَعَلْتُ اسْتَأْنِيكَ^(٣) مَعْتَذِرًا بِمُؤَوَّهِ رَثٍّ مِنَ الْعَذْرِ
 لَمْ أُنْسَ قَوْلَكَ جِدَّةً عَاتِيَةً فِي أَدْمِجٍ تَهْلُ كَالْقَطْرِ
 هَبْنِي أَنْتَظَرْتُ لِقَابِلِي^(٤) تُرَى يَطْوِي الزَّمَانَ لِقَابِلِ عُثْرِي
 مَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ لَيْلَ غَدٍ مُقْضٍ بِنَا لَفَجِيعَةِ الدَّهْرِ
 وَلَقَدْ ذَكَرْتُ لِيَالِيَا سَلَفَتِ وَالذِّكْرِيَّاتُ ذُخَائِرُ الْعُمْرِ
 لَيْلَاتِ أُنْسٍ فِي لَفَائِقِهَا مَا فِي الصَّبَا وَالْحُبِّ مِنْ سِحْرِ

(١) أَيَّامِ الشَّرِيقِ بِمَعْنَى بَعْدَ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ (٢) مَوْضِعٌ بَيْنَ مِزْدَلَةَ وَعَرَفَةَ

(٣) اطْلُبْ إِلَيْكَ الْأَوْجَاءَ (٤) الْعَامُ الْقَادِمُ

أَحْلَى مِنَ اللَّيْلِ إِذَا اخْتُلِسَتْ وَاللَّهُ مِنْ إِغْفَاءِ الْفَجْرِ
وَالنَّارُ حَالِيَةً بِرَبِّهَا كَالشَّعْرِ رَفَّ^(١) بِسَمَةِ الشَّعْرِ
تُضْفِي عَلَيْهَا الْبَشَرَ عَالِمَةً أَنْ الْحَيَاةَ تُطَاقُ^(٢) بِالْبَشْرِ
وَتَقْسُّهَا بِهَوَى وَخَالِصَةٍ كَالطَّلِّ مِنْ مَرَّاشَفِ الزَّهْرِ
مَنْ حَامِلٌ مِنْ أَيْمٍ^(٣) بِمَنْ لَتَرَى يُضَمُّ مُنَاهُ فِي مَصْرِ
مُسْتَوْحَشٍ أَسْوَانٍ فِي زُرِّ سَعِدَتْ بِيَوْمِ النَّحْرِ وَالْجُمْرِ^(٤)
قُبْلًا مِنَ الْأَعْمَاقِ أَثَرُهَا فِي دَامِجٍ دَائِمٍ مِنَ الشَّعْرِ
وَهَوَى أَقِيمُ عَلَى الْوَفَاءِ لَهُ فَإِذَا قَضَيْتُ وَفَيْتُ فِي قَبْرِ

مَنْ فِي دَيْسَبَرِ سَنَةِ ١٩٤٢



(١) أَصَدَّ (٢) نَحْتَمِلُ بِمَشَقَّةِ (٣) فَاقِدَ زَوْجِهِ
(٤) الْجَمْرُ لِقَاءُ الْجَرَاتِ وَهِيَ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ

على قبر خديجة أم المؤمنين

هذا الجلالُ له وهذا الرونقُ
وهو المُسَوَّى بالصعيدِ المُلصَقُ
قبرٌ تراه فلا تكادُ وربَّما
ضَوَى الفتى وهو الأعزُّ الأعرقُ
إن لم يَرُقْ للعَيْنِ فهو مهابةٌ
تعنو لها نفسٌ ويخشعُ مفرقُ
جمعَ الخلائقِ في سموِّ طرازها
وفريده هذا الحفيرُ^(١) الضيقُ
يكفيه من عُليا المنازل أنه
يَسْنَى^(٢) بأم المؤمنين ويسْمُقُ^(٣)
ولقد وقفتُ به وقد وقبَّ^(٤) الدُّجَى
فتعاضمتني روعةٌ تتدفقُ

(١) القبر (٢) يشرف . (٣) يطول ويعلو . (٤) حل الظلام

والنفسُ بالصُورِ الوسامِ^(١) مَلِيئةٌ
تُجلى لأمِّ المؤمنين وتُشق^(٢)
والكاهرون الخالدون^(٣) حياها
بكسو مضاجعهم جلاله مُعْدِقُ
وجراء رضاء المناليع والربى
عالٍ على لحظِ العيونِ مُحَلِّقُ
متفردٌ بجسالةٍ قُدسيَّةٍ
قَمَساء^(٤) لا تُشأى^(٥) ولا هى تُلحقُ
قد كَلَّلتْ هَامَاتُهُ وَتَعَابَهُ
بِسَنَى يرفُ الكونُ فيه ويُشرقُ
شَهِدَ الزمانُ عليه وَحُدَايَتُهُ
غَمَر . الزمانَ ضياؤها المتألقُ
ورأى الوجودُ على عتيق^(٦) ترابه
عِشْقاً من الرُّقِّ الذى يتذوقُ

(١) جمع وسيم وهو الجميل
(٢) تَمَنَّى هنا بمعنى تصور
(٣) هم عبد المطلب جد النبي وأبو طالب عمه وغيرهم وهم مدفونون الى جوارها
(٤) منيرة وثابتة
(٥) لا يفضل
(٦) شريف

اقرأ . فلم يقرأ ولكن شعه
 دينا هو الفن الجميل المونق
 أرسى على الأخلاق سمح أساسه
 والعقل من أعجازه والمنطق
 يا أم فاطم لم يتع لكرية
 فضل كفضلك في الوري مستوسق^(١)
 قد ثبتت الإسلام أنك كهفه ال
 أعلى وأنت حوضه المترفق
 رأيته يسعى إليك وقلبه
 مما رأى بحراء عان مقلق
 حيران مضطرب الخطى متجهما
 يرنو بجيرته إليك ويرمق
 هل كان نهب الوهم فهو مكذب
 أم راء^(٢) عين الحق فهو مصدق
 زملة وكففت ثورة نفسه
 وأساه سائح عطفك المترفق

(١) بحكم ومجتمع . (٢) رأى

ما أُمُّهُ أَحْنَى عَلَيْهِ جَوَانِحاً
 لَوْ مُلَأَتْهُ (١) وَلَا أَبُوهُ أَشْفَقُ
 وَسَكَبَتْ فِي أَوْصَالِهِ ثِقَةً فَلَا
 وَهْمٌ يُطْلَى وَلَا وَسَاوِسُ تَطْرُقُ
 فَمَضَى بِعَيْنِكَ يُبْلَغُ الْكَوْنُ الْهُدَى
 تَبَتَ الْفَوَائِدُ عَنِ الْهَوَى لَا يَنْطِقُ
 بِمِثْلِهِ التَّنْزِيلُ تَخْلُقُ جِدَّةً أَلْ
 دُنْيَا وَغَضُّ جَدِيدِهِ لَا يَخْلُقُ
 يَطْوِي الدَّهْوَرَ إِلَى الدَّهْوَرِ وَهَدْيِهِ
 بَلَّغَ الْبَيَانَ بِكُلِّ دَهْرٍ أَخْلَقُ
 أَنْتِ الَّتِي كَفَلَ النُّبُوَّةَ حُبُّهَا
 وَحَنُوءُهَا وَوَفَاؤُهَا الْمُتَالِقُ
 آمَنْتِ أَوَّلَ مُؤْمِنٍ مُسْتَوْثِقٍ
 اللَّهُ ذَاكَ الْمُؤْمِنُ الْمُسْتَوْثِقُ (٢)

*
 * *

(١) لَوْنَعَتْ بِهِ (٢) الْمُتَثَبِتُ .

في بيتك استقباليه أغنى الوري
 وهو المقل كما عهدت المملق
 ليس الغنى مالا يفاد ويفتنى
 إن الغنى خلق يطول ويسمق
 زوج يراح^(١) بزوجه ويحوطها
 بهوى وخالصة^(٢) تضيء وتشرق
 ينمي عقائل مالها ويصونه
 طبا^(٣) بما ينمي أو ما ينفق
 يهنئك أنك قد ظفرت بواحد
 هو في الوجود الواحد المتفوق
 ما في الوري منذ الخليفة سابق
 لكريمة إلا وزوجك أسبق
 أو باحث متأمل متعمق
 إلا شاه^(٤) اللهم المتعمق

(١) يرتاح ويأس
 (٢) ود ومحبة
 (٣) خيراً
 (٤) سبقه ويده

أَوْ مُعْرِقٌ مُتَحَدِّثٌ عَنْ مُعْرِقٍ
إِلَّا وَاحِدٌ يَا خَدِيجَةُ أَعْرِقُ
الْكَامِلُ الْمُتَوَكِّلُ الْمُتَهَجِّدُ الـ
عَفُ الْأَمِينُ الصَّادِقُ الْمُتَصَدِّقُ
قَدْ عَشَيْتُمَا قَبْلَ النُّبُوَّةِ حَقِيقَةً
بِسَنَائِمِهَا^(١) جَيْدُ الزَّمَانِ مُطَوَّقٌ
كَانَ النَّبِيُّ وَأَنْ تَأْخَرَ بَعْثُهُ
تَزَكَّرَ النُّبُوَّةُ فِي حِمَادٍ وَتَوَرَّقُ
وَدَّتْ لَوْ ائْتَفَعَتْ لَهُ قَبْلَ الْمَدَى
سَبَاقَةً تَطْوِي الزَّمَانَ وَتَسْبِقُ
يَا رَوْضَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مُطَهَّرًا
يَهْفُو^(٢) لَهُ غَرْبٌ وَيَنْزِعُ مَشْرِقُ
ذَكَرْتَنِي « بِالرَّبْعِيَّةِ » مُضْجَعًا
بِخَدِيجَةٍ أُخْرَى يَرْفُ وَيَعْبَقُ
فِيهَا مِثَابَةٌ^(٣) مِنْ خَدِيجَةِ جَمَّةٍ
وَالْقُدْوَةُ الْعَلِيَا تُرَامُ فَتُلْحَقُ

(١) بِسَنَائِمِهَا وَكُومِهَا (٢) هَذَا الْمَلَبُ اسْتِثْنَاءٌ وَتَحْرُكُ (٣) جَمْعُ شَبَهٍ

برُّ وإِشارٌ وفضلٌ سماحةٌ
وكریمٌ تضحيةٌ ورأى أوثقُ
وتمسكُ بالمروءةِ الوثقى على
علمٍ بها وتجمُّلٍ وترفقُ
ونباله مكسوبة موروثة
عزت (١) فعزيزها (٢) نصاب (٣) مُعرقُ

يا قلبُ قد لقيَ الأحبةُ ما لقوا
إن عشتَ بعدهم فإلّا مئوتقُ
ذهبوا كما ذهبَ بشاشةُ نعمةٍ
ومضوا كما يمضي السنّ المتألقُ
كانوا هواءٌ فما خفقتَ بغيرهم
مذ أنت لا تدري لماذا تحقّقُ
: آتستها مِلًّا النواظرِ طفلةً
الحسنُ في قسماها والروثقُ

(١) من العزة (٢) من العزيز أى التأيد (٣) النصاب الأصل والمجد .

نُخْتَلُ فِي حُلَايِ النِّعَمِ وَتَنْشَى
وَتَرْفُ^(١) فِي وَشَى الشَّبَابِ وَتَبْرُقُ
تُجْرَى الْوِشَاحَ عَلَى بَنِيْلٍ^(٢) مُخْطَفٍ
كَالْغَصْنِ كَادٍ مِنَ النُّضَارَةِ يُوْرَقُ
جُلَيْتُ عَلَيْكَ شَتَبَةً فَصَدِيقَةً
فَخَيْلَةً تَهْبُ الرُّفَاءُ^(٣) فَتُعْدَقُ
مَدَّتْ عَلَيْكَ ظِلَالُ أَنْسٍ نَاعِمٍ
فَإِذَا حَيَاتُكَ بِسَمَةٍ تَتَأَلَّقُ
الْعَيْشُ يَنْدَى وَالْبَشَاشَةُ طَلَقَةٌ
وَالْأَنْسُ سَكْبٌ وَالْمُنَى تَحَقُّقُ
وَالدَّارُ حَالِيَةٌ بِأَسْمَدِ أَسْرَةٍ
حَتَّى لَكَادَتْ بِالْوَفَاغَةِ^(٤) الْقَهْقَرُ^(٥)
سَعِدْتَ بِمَسْمُودِينَ يَجْمَعُ شَمْلَهُمْ
حُبٌّ وَخَالِصَةٌ وَعَظْفٌ غَيْدَقُ^(٦)

(١) نَضَى، أَوْ تَهْتَرُ .
(٢) الْإِنْفَاقُ وَالْإِنْجَامُ فِي الْعَاشِرَةِ
(٣) تَفْيِضُ
(٤) الرِّغْدُ وَخَفْضُ الْعَيْشِ
(٥) تَفْيِضُ
(٦) مَنْ غَيَّدَ الْمَطَرَ أَيْ كَثُرَ

دانت^(١) لهم نعيمُ الدنا فتنعَموا
 ودنا لهم وردُ الهناءِ فاستَقُوا
 وتألَّفتْ أرواحُهم وميولُهم
 كالراح بالعذبِ الفُراتِ يُصَفِّقُ
 حتى إذا أوفى نعيمُهم على
 غاياته فتملأوا وتذوَّفوا
 عصَفَ الزمانُ بركنهم فتصدَّعوا
 وهوى الردى بملاذمِ فتفرَّقوا
 وانجَبَ أنسهمو فعيَنَ ثَرَّةً^(٢)
 وجوانحُ هَدَمَى وقلبُ مُحرق

*
 *

أُنْبَى قَدْ حُمَّ القضاةِ وحَلَّ بى
 وبكم مُلِمٌ فى الكوارثِ مُطَبِّقُ
 لم أنسكم عانين صرعى حولها
 وقلوبكم من حَسرةٍ تتشققُ

(١) ذلك (٢) كثرة البكاء

هذي تقدِّبها وذاك يضمُّها
وأبركو الملتقى هناك المُصعقُ
وتنفستُ فمضى إلى عليائه
نورُ الحياة وسرُّها المستغلقُ
فإذا الحياة على سموِّ مكانها
في مِرْقَةٍ^(١) من لحظةٍ تَمزقُ
أبنيَّ عوجائهم يئتمُّ داهٍ
واليتيمُ لا يحنو ولا يترفقُ
سنعيشُ ما عشنا يلجُ بنا الجوى
عائِن تُصبحنا الهمومُ وتطرُقُ
في أضلعي وشعوبٍ^(٢) نفسي تلتقي
أشجائكم وأساكم المنفرقُ
فإذا اختلَّاف الدهرُ فكف دمعكم
والدهرُ يُنسى والشبابُ الرقيقُ^(٣)

(١) جزء (٢) مسالك نفسي (٣) أول الشباب .

فأنا الذى لا يَنْتَنى يعتاده
همُّ يورقه وبثُّ موبقُ
الذاكرُ الوافى الوليُّ^(١) على المدى
والأيمُّ الباكي الحزينُ المطرقُ

مكة المكرمة فى ديسمبر سنة ١٩٤٢



نجمي

تقول ابنتي أسرفت في البت^(١) والبكا
وأنت لنا اليوم الرجاء المخلف
فقلت وهل بالك على عدل^(٢) نفسه
وقرة عينيه من المهـد مسرف
فقدت نعيم العيش لما فقدتها
وكنت بها والعيش فينان مترف
لذوق معاش شهد الحياة ونحرها
ومذ ذهبت فالشكل ما أترشف
أسيت لقلبي نازعا متلهفا
عليها . وهل ردّ القضاء التلهفا

(١) البت أشد الحزن . (٢) العدل المثل

نأت عنه نِعْماء وأودى غيائه
فأَمسى تَهَاوَى في ضَاوِعٍ تَقَصَّفُ
فعدتُ كَأَنِّي في الدُّنَا رهنُ محبسٍ
وعادتُ حياتي وهي جرداءُ صَفْصَفُ^(١)

*
* *

مضتُ أُمُكُم كالشمسِ لِمَا حَاةِ السَّيِّ
وزالت كما زال الرِّيعُ المُفَوِّفُ^(٢)
ومالَ عَمُودُ البَيْتِ وانقَضَ أُنْسُهُ
وريعَ به مغْنَى وأوحشَ رِفْرَفُ^(٣)
كَأَن لَمْ يَكُن بِالْأَمْسِ طَلْقًا دُؤَاؤُهُ
يرفُ به رِفَهُ وَشَمْلُ مَوْثَلَفُ
وأقسمُ كَأَنِّي لِلْيَتَامَى دَرِيئَةٌ^(٤)
تُرُودُ الْأَسَى عَنْهُمْ وتأسو وتُنْصَفُ

(١) خالية موحشة (٢) هنا بمعنى الملوّن (٣) المجلس في البيت أو البساط
(٤) عصبة

تَضُمُّ جَنَاحَيْهَا عَلَيْهِمْ خَفِيَّةٌ
وَتَحْنُو حَنَوَّ الْوَالِدَاتِ وَتَعَطِفُ
وَكَانَتْ تَقُومُ اللَّيْلَ إِلَّا أَقَلَّهُ
وَأَحْلَافُهَا فِيهِ مُصَلًى وَمُصْحَفُ
مَدَامُهَا مِنْ رَوْعَةِ الذِّكْرِ ذُرْفُ
وَأَوْصَاها مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ رُجْفُ
تَهَجُّدُ^(١) أَوَّابٍ^(٢) وَتَسْبِيحَ قَانَتْ^(٣)
فَلِلَّهِ ذَلِكَ الْخَاشِعُ الْمُتَخَوِّفُ
بَنَى اصْبِرُوا لِلْخَطْبِ إِنْ شَبَابَكُمْ
يُرْفَهُ مِنْ فُذْحِ الْجَوَى وَيُكْفِيكُمْ^(٤)
لَيْسَ مُدَّةً فِي عَمْرِي أَمْتُمْ وَإِنْ أَمْتُ
فَرُبُّكُمْوَا أَحْنَى عَلَيْكُمْ وَأَرَأْفُ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ رَيْبَ دَهْرٍ يَسُوءُكُمْ
وَإِنِّي مِنْ إِغْضَاءِ الْأَهْلِ أَخَوْفُ

(١) العبادة ليلا في غير فريضة (٢) الأواب الكثير الرجوع لله تعالى
(٣) مطيع (٤) يخفف

وحى يثرب

أَتَلَكَ رَوَايِهَا الْعَمَلُ وَهَضَابُهَا
وَهَذَى الْقِيَابُ الْمَشْرِفَاتُ قِيَابُهَا
بَلَى لَهَا مَثْوَى الرُّسُولِ وَرَوْضُهُ
تَقْدَسَ وَادِيهَا وَعَفَّ تَرَابُهَا
أَفْضَلْنَا إِلَيْهَا خَاشِعَاتِ قُلُوبُنَا
مُسَبِّحَةً أَحْنَاؤُهَا وَشِعَابُهَا^(١)
يَلْبِجُ بِهَا شَوْقُ الْأَطْهَرِ مُضْجِعِ
فَتَنَدَى^(٢). وَقَدِيشْنِي الْقُلُوبَ اتِّحَابُهَا
وَتَمَلُّ أَطْوَاءَ النُّفُوسِ مَهَابَةُ
تَوَالِي تَغَشَّيَهَا لَهَا وَانْتِيَابُهَا
نُزْدُ الدَّمُوعِ السَّالْحَاتِ وَنَنْشِي
فَلَا يَنْشِي تَهْتَابُهَا وَانْسِكَابُهَا

(١) شعاب القلوب مسالكها (٢) تبذل بالسمع

ذَكَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَالْبَيْدُ حَوْلَنَا
 تُطَالِعُنَا أَسْرَابُهَا وَسَرَابُهَا
 عَلَى هَجْرَةٍ أَفْضَتْ إِلَيْهَا زَكَاةٌ^(١)
 وَحِكْمَةٌ رَأَى لَا يَزِلُّ صَوَابُهَا
 أَكَادَ أَرَاهُ ثَانِي اثْنَيْنِ أَمْسِيَا
 عَلَى خُطَّةٍ لَيْسَتْ قَلِيلًا صِعَابُهَا
 تَضُمُّهُمَا ظُلُمَاءُ ضَافٍ رُؤَاؤُهَا
 وَتَطْوِيهِمَا يَيْدَاءُ طَاغٍ عُجَابُهَا
 وَخَلَفَهَا تَضَرَّى^(٢) قَرِيشٌ وَتَفْتَلِي
 بِأَحْقَادِهَا مَخْزُومُهَا وَكَلَابُهَا^(٣)
 أَعِدَّتْ مَذَاكِهًا^(٤) وَسُلَّتْ سَيُوفُهَا
 بَلِيلٍ وَضَجَّتْ بِالْعَدَاءِ غَضَابُهَا
 يَرِيدُونَ شَرًّا بِالرَّسُولِ وَدِينِهِ
 وَتِلْكَ مُنَى أَعْيَا قَرِيشًا طِلَابُهَا

(٢) تَضَرَّى مِنَ الضَّرَاوَةِ وَهَذَا بِمَعْنَى تَشَوَّرَ
 (٤) الْجِيَادُ مِنَ الْحَيْلِ

(١) سَدَادٌ وَصَحَّةٌ فَهْمٌ
 (٣) قِبَائِلٌ مِنْ قَرِيشَ

غفراً^(١) الأسدُ من أهليه عنه وسالموا
عليه فهِبَتْ تبتغيه ذئابها
فيا الخطي سماء بات يعضها
ويرجف تاريخ الدنا واتقلاها

*
*

ولما بلغنا رواحنا مشارف
يرف عليها طهرها وانتسابها
وشدت إليها أغني الركب روضة
تعالى على لحظ العيون جنابها
مباركة الأفناء لماحة السني
تضوئ مسكا ساحها وقبابها
حوت واحد الأكوان منذ بدء خلقها
إلى يوم يطوى كالزمان كتابها
وضمت سراج الخلق تهفو^(٢) قلوبها
إليه وتعدو^(٣) باليقين رقابها

(١) نام واسترخى . (٢) تشنأ وتزعج (٣) تخضع

نَبِيٌّ جَلَّاهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ حُجَّةً
 فَاقْصَرَ عَنْهَا شَكُّهَا وَارْتِيَابُهَا
 وَأَرْسَلَهُ عِتْقًا وَأَمَّا وَرَحْمَةً
 يُضَيِّدِياجِيرَ الْوُجُودِ شَهَابُهَا
 وَأَيَّدَهُ بِالذِّينِ بِصَفْوِ مَعِينِهِ
 وَبَزَكَو. وَبِالْأَخْلَاقِ يَسْرَى (١) نَصَابُهَا (٢)
 نَمَّتْهُ الْقُرُومُ الصَّيْدُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
 مُطَهَّرَةً أَحْسَابُهَا وَثِيَابُهَا
 وَقَفَّتْ وَمَا سَامَتْ حَتَّى تَرَادَفَتْ
 خَوَاطِرُ نَفْسٍ قَدْ دَهَاها مُضَابُهَا
 عَذَابٌ (٣) مِنَ الْإِيَّامِ أَتْلَعَ أَنْسَابُهَا
 وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا هُمُهَا وَعَسَا نَذَابُهَا
 وَأَطْيَافُ ذِكْرِ صَابِهَا طَمَّ شُهْدَاهَا (٤)
 بِرُوحِي شُهْدُ الذِّكْرِيَّاتِ وَصَابُهَا

(١) يصرف ويكرم
 (٢) أصلها ومعناها
 (٣) جمع عذب
 (٤) مرارتها غلبت على حلاوتها

ذكرتُ التي كانت تَمْنَى لو أنها
 ترامتُ إلى روضِ الرسولِ ركاها
 دعنتي فلم أَطْلِبْ^(١) وثنتُ فلم أَجِبْ
 فكان بكاءُ القانتاتِ^(٢) عذابها
 وقلتُ لها في قابلٍ^(٣) قتلها
 فما إن دنا حتى فجعنا ذهابها
 وددتُ بعيني لو أجبتُ طلائها
 وكان يسيراً أن يُجابَ طلائها
 ذوتُ مثلَ أفوافِ الربيعِ ونوره
 جفاها الندى وأنجاب^(٤) غناها سحابها
 ومالت مميلَ الشمسِ بصفو^(٥) بهاؤها
 ويرزقُ في وُشَى النعيمِ شبابها
 تشبَّتُ بالأسْتارِ يحجبُن هالةً
 من النورِ قد عزَّت وعزَّ حجابها

(١) اطلب أوجب اطلب (٢) الطلعت (٣) الامام الغيل
 (٤) انتمتع (٥) يخفى ويسع والاشارة هنا ليست عائدة على الشمس

وقلت ودمعي مُسْتَهْلٌ وَأَضْلَعِي
بِمَا ضَمِنْتَ . مَا يَسْتَقِرُّ اضْطِرَابُهَا
سَأَلْتُكَ رَبِّي أَنْ يَعْزَّ مُقَامُهَا
لَدَيْكَ وَيَسِّنِّي فِي حِمَاكَ مَأْوِهَا
إِلَيْكَ مَثَابِي رَبَّنَا وَمَثَابُهَا
وَفِيكَ احْتِسَابُهَا وَجَلَّ احْتِسَابُهَا

عَلَى يَأْتِي مِنَّا مَسْلَامٌ وَرَحْمَةٌ
كَمَوْشَى أَنْدَاءَ الصَّبَاحِ انْسِكَابُهَا
كَفَاهَا سَيِّ أَنْ الْبَقِيْعَ تَرَابُهَا
وَأَنْ قِبَابَ الرِّضَتَيْنِ قِبَابُهَا
وَأَنْ شَفِيعَ الْمُرْسَلِينَ رَسُوْلُهَا
وَأَنْ كِتَابَ الْعَالَمِينَ كِتَابُهَا

المدينة المنورة ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٢

يوم ميلادك يا بني

يومُ ميلادك يا بني عاذني
ملاً النفسَ شُجوناً وجوًى
كيف رُضتَ النفسَ فاستقبلته
أثقلتَ على جُر الغضى
وتقبَّلتَ بقلبٍ موجعٍ
جُعتَ من أدْمعٍ مُنهلةٍ
هل تُرى أهلكَ أخفوا دمعهم
أم تُراهم غلبتهم حَسرةٌ
- وهو عيدٌ - بالأسى والحسراتِ
- وهي ملأى - وأثار الذكرياتِ
يا وقالك الله شرَّ النائباتِ
أم تدرّعتَ بصبرٍ وثباتِ
تهنّئاتٍ ! يا لها من تهنّئاتِ
عن جفونٍ وكبودٍ دامياتِ
في ثنايا البسماتِ الكاذباتِ
نهتَ فيك دفينَ الحسراتِ

رُبَّ عيدٍ لك من عامٍ مضى
حلَّ لَمَحَ السنَى مؤتلقاً
فإذا البيتُ مضى باسمٍ
جمعَ السعدَ وضمَّ البُشرياتِ
مُشرقَ الوجهِ وسيمَ القسماتِ
كالسماءِ ازيّنتُ بالنيراتِ

أسرة ناعمة هائسة	في ظلال الحب والعيش لموات
جمعت ربهم تملهمو	وثيق من كريم الوضلات
من حضنها الرقيق لهم	ساكب العطف وضاني الرحمات
تنشر النعمى عليهم طائفة	والمنى موشية والبسمات
أكرم الناس يدأ واهبة	بذل العرف وتولى الكرمات
فإذا ضاق عن البذل المدى	أومات باللهذر بين العبرات

* *

يا ابن أحلامي وروحي ودمي	وصمام الأمن عند النازلات
إنما أنت بقايا أمل	لاح لي بين طوايا الضمات
حز في نفسي إني غائب	لم أبادلك البكا والزفات
أنا في أشرف أرض بسطت	تحسد الرمل عليها النيرات
جار من أرسله الله هدى	ومساء وسنى للكائنات
فجلا تكون دينا رائعا	كرم العقل وصان الحرمات
قل لأختيك أسما واستسما	واطلبا بالصبر أجر الصبرات

سنةُ اللهِ على الخلقِ جرتُ قد علمتم كلُّ جَمْعٍ لِسْتَاتُ
أنقذَ اللهُ الذي قدَّره أنه أنشا وأحيا وأماتُ
رَدِيتُ^(١) أمُكرو ويح الردى كيف لم يرحم أبرد الأمهاتُ
طويتُ عن سيرة طاهرةٍ وكتابٍ حافلٍ بالحسناتُ
نخذوا العيشَ بأيدي^(٢) وهدى واقتفوا آثارها في الخالداتُ
لا تقولوا فقدوها مُقْعِدُكم عن باوغ الدرجاتِ المُشرفاتُ^(٣)
رُبَّ أيتامٍ ضعافٍ قلِّدوا عُنُقَ الدهرِ جليلِ المناثراتُ
لا تقيسوا بأيكم شأنكم المقاييسُ لنا مُختلفاتُ
إنه ماضٍ وأنتم قابلٌ والدنا تصدِفُ عن ماضٍ لآتُ
أنا أن عشتُ فحسبي مُتعةٌ أن أذيبَ العمرَ بين الذكرياتُ

المدينة المنورة في أول يناير سنة ١٩٤٢



(١) قضيت (٢) بقوة (٣) العليا

أَجْدُ

لئن ملأ العينَ رأى أُحْدُ فقد هاجت النفسَ ذكرى أُحْدُ
وقفنا به ساعةً في الضحى فقلله أيُّ شعورٍ أَجْدُ^(١)
رجعتُ بذكري التفهقري إلى ساعةٍ قد طواها الأبدُ
أمرُ القرونِ وأطوى السنين مئاتٍ على الدهرِ مما نَعْدُ
تمثلتهم قبل أن ينفروا وجيشُ قريشٍ دنا فاستعدُ
تجمع من خيرهم محتداً وأشرفهم والدًا أو ولدُ
وأخبرهم بفنون القتال وأجمعهم للنهي والسددُ^(٢)
وأكثرهم جلدًا في النضالِ وخيرُ عتادِ النضالِ الجلدُ
أتوا حافدين وشرَّ المداءِ عداءِ الوليِّ^(٣) إذا ما حقدُ
تطالعهم «بذر» ما أصبحوا وما روّحوا بالجوى والكمَدُ
فراقُ لأحبةٍ أن يصبروا له ويقولوا المسايا رَصَدُ^(٤)

(٣) القريب المصديق

(١) أنار (٢) السداد

(٤) مترفة . أو واثية

فما صَبَرُهم وهوانُ الزمانِ
تصدَّى لأربابهم ساحرٌ
وأزجَّجهم شاعرٌ لم يزل
وقد علم الله ما صَدَّهم
يعاورهم وشَنارُ^(١) الأبدِ
تحدَّى فقال ربُّ أحدٍ
يُطالِعهم بالوصايا الجُدُدِ
عن الحقِّ غيرُ الهوى والحسدِ

تَمَثَّلَهم في فناء الرسولِ
وللرأيِ مُصطَرعٌ بينهم
وقال النبيُّ وقالوا له
وقد يُخطئُ الفصلُ جمعُ الرجالِ
أراد ليشرعَ شُورى الأمورِ
طرازُ من الحكمِ يَفنى الزمانُ
تُضيءُ على جانبيه الحياةُ
أحاط به جمعهم واعتقد
فنه السيدُ ومنه الأسدُ
فلما رأوا رأيهم لم يحدِ
ويُحسنه المُلهمُ المنفردُ
ويُرسى قواعدها والعمدُ
ويبقى منارَ الهدى والرشدُ
ويَفشو السلامُ ويضفو الرغدُ

وأخضوا إلى أحدٍ فابتغى
كثيرٌ إذا قُدِروا بالصِّيالِ^(٢)
تَمَثَّلَته قد تراءى الهدى
لو اسطاعَ يسعى إليهم أحدُ
قليلٌ إذا قُدِروا بالعمدِ
ورفَّ^(٣) عليه السَّنى والصيِّدُ^(٤)

(١) العار (٢) القوة على الحرب والمهاجرة (٣) أضاء
(٤) التعالى والاعتداد بالنفس وهي أوصاف يجهاصلى الله عليه وسلم عند الحرب

ومن حوله الخمس^(١) من صحبه
 عقائدهم قبل أسيا فهم
 ومن حشد الروح يوم النضال
 وقيل التزال فشب القتال
 وسال على الجبل الدارعون
 فلم يزحم الجو غير الغبار
 كما تضج وغيد تبع^(٢)
 وقد فتح الله للمسلمين
 فليت الرماة أطاعوا الرسول
 ولكنها نزوة تركب الطباع
 مضوا فتصدى لهم « خالد »
 فأوقع فيهم ومن لم يثب
 أعدوا ليوم الجهاد العدد
 وأيمانهم قبل ضافي الزرد
 فقد حشد النصر فيما حشد
 فما شهد الناس يوما أشد
 وسال على جانبيه الجسد^(٣)
 ولم يلا الأرض غير الزود^(٤)
 وبدن^(٥) تد^(٦) وخيل تحذ^(٧)
 بنصر ولكنه لم يكذ
 إذن لاستوى نصرهم واضطرد
 وإن خلص المعتقد
 فجاذبهم يومهم^(٨) فاسترد
 لفروسته ذهبت . لم تعد

تمثلت تحت لواء النبي
 سليل البهايل^(٩) من هاشم
 فتى ساور المجده ثم اقتعد
 وفارسهم في الوغى المفتقد

(١) المتحمسون (٢) الدم (٣) الفرع (٤) تصيح والاشارة
 الى النساء اللاتي يشجعن المحاربين ومنهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان وأم حكيم
 بنت الحارث بن هشام وغيرها (٥) النوق الفوية (٦) تهدر (٧) تعدو
 وأسرع (٨) يومهم أي نصرهم (٩) جمع بهلول وهو السيد الجامع لكل خير

إِذَا أَسْبَدُ اللَّهُ هَزَّ الْحَسَامُ
 رَمَاهُ عَلَى غُرَّةٍ خَاطِلٍ
 تَصَيَّدَهُ الْعَبْدُ مِنْ خَلْفِهِ
 وَلَمَّا سَمَا كُلُّهُ لِلسَّمَاءِ
 مَشَتْ فَوَجَتْ^(٢) صَدْرَهُ وَانْثَنَتْ
 فَقُلَّ لِلْكَرِيمَةِ أُمُّ الْمُلُوكِ
 مِثَالُكَ يَا هِنْدُ فِي الْمُحْصَنَاتِ
 غَضِبْتَ لِأَهْلِكَ فِي الْهَالِكِينَ
 لَعَلَّكَ حِينَ وَلَعْتَ الدَّمَاءَ
 بَكَيْتِ لِأَرْوَاعِ عَفِّ الْإِزَارِ
 قَلِيلِ الشَّكَاةِ إِذَا الدَّهْرُ نَابَ
 فَكُلُّ كَيْمٍ طَعَامُ الْأَسَدِ
 وَبِالْخُثْلِ يُؤْتَى الشَّجَاعُ النُّجْدُ^(١)
 وَلَوْ جِئَ مِنْ قُبُلٍ لَمْ يُصَدِّ
 وَلَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ غَيْرُ الْجَسَدِ
 وَفِي فَمِهَا أَنْفُهُ وَالْكَبِدُ
 وَبَنَتْ بِنَاةَ الْعُلَا مِنْ مَعَدٍ
 قَلِيلُ وَفِي السَّرَوَاتِ^(٣) الْخُرْدُ^(٤)
 فَجُرَّتْ وَأَيُّ غَضُوبٍ قَصَدُ^(٥)
 وَخَلَّتِ الْغَلِيلَ اشْتَقَى وَابْتَرَدَ
 عَفَّ الْأَسِنَّةِ عَفَّ الْأَدَدِ^(٦)
 كَثِيرِ الْبَسَاءِ إِذَا مَا سَجَدُ

أَسِيتُ لَجِيشٍ كَرِيمِ الْعَتَادِ
 تَفَرَّعَ بِالنَّصْرِ صَدْرُ النَّهَارِ
 مُحَضِّ الضَّرِيَّةِ وَالْمُعْتَقَدِ
 فَلَمْ يَمْسِ إِلَّا بِشَمْلٍ بَدَدُ^(٧)

(٢) شقت بسكين .

(٤) جمع خريدة وهي الحية

(٧) مبدد . متفرق

(١) الباسل الماضي لا يعجز عنه غيره

(٣) ذوات المروءة والشرف

(٥) عدل (٦) الحصومة

وقيل انثنوا بالرسول الأمين
 لحا الله عتبة^(٢) في الآئين
 بأى يدٍ شجَّ سرَّ الوجودِ
 رماه فأدمى الجبينَ الوضى
 لشقَّتْ على العرش تلك الجراحُ
 لئن نكِبَ الجيشُ في يومه
 وسادن^(٥) مسجده ذى العمَدِ
 وقاء وأنت لهذا البلدِ
 وسفحك أقدسُ سفحِ قعدِ
 يشعُّ الهدى ويُقيمُ الأود^(٨)
 وبالحُكم^(٩) تمنحُها من وردِ
 إلى أفرُخٍ قد براها الكبد^(١٠)
 وما وهبَ الدهرُ إلا استردَّ
 وحسبهمو الله أن لم أعدَّ
 سلامٌ عليك حبيبَ الرسول^(١)
 حراءَ لمكةَ والأخشبان^(٦)
 هضابك أسنى^(٧) هضابِ تقومِ
 وبينَ يدك كتابُ الزمانِ
 مواردُ حافلةٌ باليقينِ
 وداعاً فقد آن يومُ المآبِ
 أصابهم الدهرُ في كهفهم
 لئن عدتُ لم يعدموا آسياً

(١) تشبيهاً له بالأسد (٢) عتبة بن أبي وقاص (٣) الدم .

(٤) إشارة إلى الحديث الشريف عن أحد « هذا جبل يحبنا ونحبه »

(٥) السادن القائم بالخدمة والحجابة (٦) أبو قيس والأحر جبال مكة

(٧) أشرف (٨) الاعوجاج (٩) العقل والتجربة (١٠) الحزن والألم

لَيْلَةٌ وَلَيْلَةٌ

يا لَيْلَةً جَمَعْتَنَا بَعْدَ طَوْلِ نَوَى
ذَكَرَاكَ هَاجَتْ لَنَا الْأَشْجَانُ أَلْوَانَا
ذَكَرْتُ مَا كَانَ مِنْ عُرْسٍ^(١) جَاوَتْ بِهِ
عَلَى أَكْرَمِ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانَا
بِيضَاءَ هَيْفَاءٍ تَحْكِي الصَّبْحَ مُؤْتَلِفَا
وَالرُّوضَ مُتَسَقَا وَالْبَانَ رِيَّانَا
بَقْنَا تُضِيُّ ظِلَامَ اللَّيْلِ نَشْوَانَا
وَتَسْتَشِيرُ شُجُونَ اللَّيْلِ نَجْوَانَا
قَالَتْ وَقُلْتُ فَلَمْ تَقْرَعِ مَقَالَتَنَا
إِلَى الصَّبَاحِ وَلَمْ تَهْدَأْ شِكَاوَانَا
وَحَوْلَنَا اللَّيْلُ يَطْوِي فِي غِلَاثِهِ^(٢)
وَتَحْتَ أَعْطَافِهِ نَشْوَى وَنَشْوَانَا

(١) يقصد ذكرى العام لليلة العرس

(٢) جمع غلالة وهي ما يلى الجسم من الملابس

فما رأى قبلنا إلفين قد فنيا
 وجداً وذايا تباريحاً وتحنانا
 نكاد من بهجة اللقيا وروعيتها
 نرى الدنيا أَيْكَةً^(١) والدهر بُستانا
 ونحسب الكون عُشَّ اثنين يجمعنا
 ولاء صبياء والأنسام أَلحانا
 والعمر وصلًا وآمالاً مُدَلَّلَةً
 والغيب مؤتلق الآفاق مُزدانا
 لم نعتق وذهول العرس يغمرنا
 وكم تَمَانَقَ روحانا وقلبانَا
 ثم انثنينا وما زال الغليلُ اظَى
 والوجدُ محتدماً والشوقُ ظمآنَا

*
* *

يا لَيْبَةً شَبَّهْتَ^(٢) اللذكري بعورتها

في دورة العزم ماذا هجيت لي الآنَا

(١) الأيكة الملتف الناضر من الشجر . (٢) شبت بالتخفيف والتشديد أو هدت .

قد كنت فيما مضى أنسا نطيبُ به
 نفساً فأُمسيت أوصاباً وأشجاناً
 أضنيت أسوان ما ترقى مدامه
 وهجت فوق حشايا^(١) الشهيد حيراناً
 بيت يودع سمع الليل عاطفةً
 ضاق النهارُ بها سترًا وكتماناً
 ويرسل الشجوة في سرِّ الدجى حرَقاً
 لو الدجى قد من صخرٍ إذن لانا
 وأدمعاً من حنايا القلب ساكبةً
 قد يدمع القلب دون العين أحياناً
 أشكو إلى الله بأساً ما أطيعُ له
 حملاً . وبشاً وأحزاناً وجرماناً
 وإنه — عزَّ في عُليا مشارفه —
 حين ابتلى لم يهب صبراً وإذعاناً

(١) الحشايا جمع حشية وهي الفراش والوسادة .

أَشْكُو إِلَيْهِ وَفَاءً قَرَّ فِي كَبْدِي .
وخالطَ الدَّمَّ شِرْيَانَا فَشِرْيَانَا
فَإِنْ جَنَحْتُ إِلَى السُّلُوفِ أَوْ سَعْنِي
عَتَبًا . وَضَمَّ إِلَى النَّيْرَانِ نَيْرَانَا

✽ ✽

يَا مَنْ تَعَاهَدَنَا^(١) وَدَا وَخَالِصَةً^(٢)
وَزَادَنَا بَعْدُ إِشَارًا وَإِحْسَانًا
وَمَنْ تَوَافَتْ نَمَا الدُّنْيَا بِأَنْفُسِهَا
فِي ظِلِّهِ فَإِذَا الْقِرْدَوْسُ دُنْيَانَا
وَمَنْ سَعِدِنَا عَلَى مَوْثَى رَفْرَفِهِ^(٣)
بِالْعَيْشِ طَلَقًا وَبِالْإِقْبَالِ فِينَانَا
الْمَوْتَقُّ الْخَضِيلُ الْجَذْلَانُ مَلْعُبُنَا
وَالضَّاحِكُ الْمَشْرِقُ الْمَانُوسُ مَغْنَانَا
أَثَابَكَ اللَّهُ مِنْ مُنْهَلٍ رَحْمَتِهِ
عَنَّا وَجَازَاكَ غُفْرَانَا وَرِضْوَانَا

(١) أَفَاضَ عَلَيْنَا . (٢) حَيَّةٌ . (٣) الْحُجْلَسُ أَوِ الْبَسَاطُ .

ظلمتُ وُدِّي وما أنصفتُ برِّكَرِ بِي
لوَّ قدْ وقفتُ عليكِ العمرَ شُكرانا
فلم أبتُ منك مطوياً على غضبٍ
ولم أبتُ قلقَ الجنين غيرانا
ولا تمنيتُ ألا إن تُسألني
فيك الدنيا يا أحبَّ الناسِ إنسانا
قد كنتِ حسباً لنا لوَّ قد سامت لنا
وزالت الأرضُ بلدانا وقُطانا

الربماية في ١٣ يونيو سنة ١٩٤٣



مضى صاحبائى

تَعَجَّلْتُمَا حِينَ أَزْمَعْتُمَا رَحِيلًا فَهَلَّا تَلَبَّيْتُمَا^(١)
 أُنْفَى أَيْلَةٍ حُمٍّ فِيهَا الْقَضَاءُ مَ تَعَاقَبْتُمَا هَلْ تَوَاعَدْتُمَا
 مَضَى صَاحِبَايَ فَمَا وَدَّعَا عَلَى غَيْرِ دَابٍّ وَمَا سَلَّمَا
 وَكُنَّا إِذَا عَرَضَتْ فُرْقَةٌ جَرَعْنَا أَسَى وَبَكَيْنَا دَمَا
 وَظَلَلْنَا^(٢) ثُمَّ زَمَانُ النَّوَى وَقَدْ نَفَدَ الصَّبْرُ إِلَّا ذَمًّا^(٣)
 فَهَلْ يُرْجَعُ الدَّهْرُ عَبْدَ الْعَزِيزِ مَ وَصَاحِبَهُ أَوْ فَقَى مِنْهُمَا
 نَبِيلَانِ لَمْ تَلِدِ الْوَالِدَاتُ مَ أَعَزَّ وَلَا نَجَلَتْ^(٤) أَكْرَمَا
 ذَوَا بَصَرٍ بُلْبَابِ الْأُمُورِ مَ إِذَا أَشْكَلَ الرَّأْيُ وَاسْتَبْهَمَا
 هُمَا أَمَلٌ رَفَّ ثُمَّ انْحَى فَقَالُوا ذَوَى يَوْمَ قَاتِلُوا نَحْنَا
 وَبَنِيَانُ بَيْتِ رِمَاءِ الرَّدَى فَهَدَّم . يَاشَدَّ مَا هَدَّمَا

(١) الخطاب للشَّاهين العزيزين السيد عثمان أباطه بك وعبد العزيز سليمان
 أباطه بك وقد توفيا متتابعين في مدى ثلاثة أيام (٢) ظللنا
 (٣) بهية (٤) أعتبت

فَقَدْ تَكَمَّ أَنْجَمًا ضَوَّاتٌ وَأَيْكَأَ أَظْلًا وَغِيثًا هَمِي
 فَمَا يَرَوْهُ الْعَيْشُ مَذْبُتًا وَلَا يَبْرُدُ الْقَابُ مَا غَبَتَا
 سَأَحْمِلُ عَبَّ الْأَسَى بَاكِيًا مَدَى الْعَمْرِ حَتَّى الْأَفْيَا
 أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ هَذِي الدُّنَا رُؤْيًى^(١) كَاذِبَاتٌ أَلَمْ تَعْلَمَا
 طَيِّرٌ تَمُرُّ وَخَلْقٌ يَكُرُّ وَيَعْضِي كَأَخْبِيلَةِ السَّيْنَا
 وَمَنْ شَارَفَ الْحَيْنَ^(٢) مُسْتَأْخِرًا كَمَنْ شَارَفَ الْحَيْنَ مُسْتَقْدَمَا
 وَمَا قَهَرَ الْمَوْتَ إِلَّا أَمْرًا تَنْظَرُهُ قَدْرًا مُبْرَمًا
 فَلَمْ يَخْشَهُ حَاضِرًا مُقْدَمًا وَلَمْ يَنْسَهُ غَائِبًا مُحْجَمًا
 وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا طَرِيقُ الْإِيَابِ وَأَخْلَقَ بَيْنَ آبٍ أَنْ يَنْعَمَا

أواخر فبراير سنة ١٩٤٣



(١) جمع رؤية (٢) الحين : الموت .

ساعته في البقيع

يا ترابَ البقيعِ راوحتَ التطرُّ (م)
ووالاك يا ترابَ البقيعِ
روضةً أنت للكرامِ الميامين (م)
من الكافرين صَبَّ الشَّعِيعِ
المباجيل (١) من بُنَاةِ المعالي
والمصاييح من هُدَاةِ الجُوعِ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ واجْتَبَاهُمْ
من قِيَامٍ وَسُجُودٍ وَرُكُوعِ
قَهَرُوا الدَّهْرَ بِالشَّهَادَةِ (٢) وَالْأَخْلَاقِ (م)
وَالنَّفْسَ بِالْهُدَى وَالْقُرُوعِ
يَوْمَ جُزْنَا بَابَ النَّسَاءِ (٣) إِلَى الْبَطْحَاءِ (م)
نَسَعَى فِي ذِلَّةٍ وَخُشُوعِ

(١) جمع مَبْجِلٍ (٢) التضحية بالنفس التماساً لبلوغ الجنة .

(٣) باب الحرم النبوي الشريف الموصل للبقيع

رَجَفَ الْقَلْبُ رَهْبَةً وَتَهَاوَتْ
مِنْ مَأَقٍ سَافَحَاتُ الدَّمِوعِ

قِيلَ هَذَا عُمَانُ فَأَمْتَلَتْ^(١) النَّفْسُ^(٢) (م)

بِذِكْرِي هَذَا الْإِمَامِ الصَّرِيعِ

قُلْتُ يَا جَامِعَ الْكِتَابِ وَمَا كَانَ (م)

إِلَى أَنْ رَأَيْتَ بِالْمَجْمُوعِ

يَا مُذَلَّ الْأَلْفِ فِي عِزِّ الْإِسْلَامِ (م)

تَبَغَى وَجْهَ الْبَصِيرِ السَّمِيعِ

لِئَنَ النَّاسِ جَانِبًا فَاسْتَخَفَّ النَّاسُ (م)

بِاللَّيِّنِ الرَّفِيقِ الْوَدِيعِ^(٣)

عَمَّرَ سَاسَهُمْ بِعَدْلِ عَصَى

وَتَدَاوَلَتْهُمْ بِعَدْلِ مُطِيعِ

حِينَ أَرَادَ ظَالِمِينَ فَبَلَّ الْأَرْضَ (م)

ذَلِكَ مِنْ فَيْضِ ذَلِكَ النَّجِيعِ^(٣)

(١) امتلأت . (٢) الساكن الهادي . (٣) الدم .

غضب الله واستعاذ رسول الله
بالله من أثم فطيع

*
* *

ودلفنا بين القبور فجئنا
آخر الأمر دار قوم رتوع^(١)

يا بيوت^(٢) النبي من كل فضلى
كرّم الله بالسنى المرفوع

الأمام الموهوب والعاقب^(٣) المروى^(٤)
عنه والمصلح المطبوع

الذى خصّ قبل مبعثه الحق^(٥)
بأسمى مواهب المتبوع

قد شهدته يفصل للكون^(٦)
فنونا من محكم التشريع

(١) رتوع أى مستقرون فى خفض ونعيم . (٢) يقصد زوجات النبي

(٣) من ألقابه صلى الله عليه وسلم ومعناه الذى لا نبي بعده .

فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَيَانِ فَرِيدٍ
وَطِرَازٍ مِنَ السَّمَوِّ بَدِيعٍ
فَأَخَذْتَنَّ هَدْيَهُ فَادْعُتَنَّ
فَكُنْتُ أَنَّهُرَ الْيَنْبُوعِ

*
* *

ثُمَّ مِلْنَا إِلَى فُرُوعِ رَسُولِ اللَّهِ (٢)
عَزَّتْ عَلَى الْوَرَى مِنْ فُرُوعِ
الْكَرِيمَاتِ مِنْ كَرِيمٍ مُصَفًّى
وَالرَّفِيعَاتِ مِنْ فِرَاشٍ رَفِيعٍ
مُعْطِيَاتِ الْمُضْطَرِّ فِي يَوْمِ ضَيْقٍ
مُطْعِمَاتِ الْمُعْتَرِّ (١) فِي يَوْمِ جُوعٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَاصْطَفَاكُمْ
آلَ بَيْتِ الْمُبَرِّ الْمَشْفُوعِ (٢)

(١) الذي يتعرض ليمطى ولا يسأل
(٢) المبرأ والمشفوع من ألقابه صلى الله عليه وسلم

بَسْمَةُ الدَّهْرِ لِلْخَلِيقَةِ أَتَمَّ
وَاقْتِبَالُ الدُّنَا وَنُورُ الرِّيعِ
وَأَزْدَهَارُ الْمُنَى وَإِشْرَاقَةُ الْجَدِّ
وَسَكْبُ السَّنَى وَحُسْنُ الصَّنِيعِ
فَسَلَامٌ بَيْنَ الْمَقَاصِيرِ فِي الْخُلْدِ (١)
عَلَيْكُمْ وَفِي الرَّحَابِ الْوَسِيعِ

أَجْهَشُ الْقَلْبُ جَهْشَةً بِالْبَقِيعِ
وَتَنْزَى (٢) فِي رُكْنِهِ الْمَصْدُوعِ
ذَكَرَ الْعَهْدَ عَهْدَ الْفِ عَزِيزِ
عِنْدَ عَيَّاشٍ سَمَّحٍ وَشَمَلٍ جَمِيعِ
فَتَلَاقَى حَنِينُهُ وَحَنِينِي
وَتَبَارَتْ دَمُوعُهُ وَدَمُوعِي
قَالَ لِي صَاحِبِي رَجَعْتَ إِلَى الْبَيْتِ (٣)
وَشَيْكَاً وَلَاتَ حِينَ رُجُوعِ

(١) تحرك وتوانب

قلت دَغْنِي أَلَا تَرَى الْعَيْشَ أَقْوَى^(١)
 يَوْمَ أَقْوَتُ مِمَّنْ أَلْفَتُ رُبُوعِي
 الصُّرُوحُ الَّتِي انْقَضَضْنَ صُرُوحِي
 وَالضُّلُوعُ الَّتِي احْتَرَقْنَ ضُلُوعِي
 نَبَّهَتْ هَذِهِ الْقُبُورُ جَوِي الْوَجْدِ^(م)
 وَهَاجَتْ تَبَارِحُ^(٢) الْمَفْجُوعِ



(١) خلا وأفقر (٢) التبارح والتباريح بمعنى